د. راشد بن حسين العبد الكريم

كيف تؤلِّف كتاباً؟

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

دار العلم للملايين

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

كيف تؤلِّف كتاباً ؟

تأليف:
د. راشد بن حسين العبد الكريم

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

شارع مار الياس - بناية متكو - الطابق الثاني

هاتف: 306666 1 (961) + - فاكس: 701657 1 (961) +

ص.ب.: 1085 - 11 بيروت 2045 8402 - لبنان

internet site: www.malayin.com

e-mail: info@malayin.com

الطبعة الأولى 2009

جميع الحقوق محفوظة: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

طبع في لبنان

Copyright © 2009 by
Dar El Ilm Lilmalayin,
Mar Elias street, Mazraa
P.O.Box: 11-1085
Beirut 2045 8402 LEBANON

First published 2009

09 10 11 12 1 2 3 4

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم غير مسؤولة عن أفكار المؤلِّف،
وتعبِّر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلِّف وليس بالضرورة
أن تعبِّر عن آراء المؤسسة.

رسالة مؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم

برنامج «اكتب»

أطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم برنامج «اكتب» لرفد النتاج المعرفي في الوطن العربي، وتدارك ما أصابه من تراجع؛ إذ إن العرب، الذين يشهد لهم تاريخهم الماضي بالريادة في إنتاج المعرفة، يصدرون اليوم أقل من 0,8 ٪ من إجمالي الإصدارات العالمية.

وقد أولت المؤسسة اهتماماً منقطع النظير لحل إشكاليات الواقع الراهن بجميع تحدّياته، فانطلقت لتجاوز كل معوقاته وحواجزه، لتحقيق ما ترنو إليه الأجيال الواعدة، وتنبع ثقة المؤسسة بأن المستقبل العربي، بإذن الله، سيحفل بأسماء جديدة في عالم الكتابة والتأليف من الإقبال الكبير على المشاركة في البرنامج من قبل الكتّاب الشباب منذ الإعلان عن انطلاقه، فقد لبّى هؤلاء الكتّاب الواعدون دعوة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بكل حماس وإيمان بالتغيير وبالعمل لخدمة مشروع النهضة المعرفية العربية.

ومع كل كتاب جديد، تتعهّد المؤسسة غرسة تشق طريقها بكل ثقة، وتتفتح زهوًا لتنثر ورودًا في كل الدروب، وتجدِّد الأمل في نهضة ثقافية عربية واعدة، تشرع نوافذها لمستقبل الإبداع.

ولا بد للغراس أن تؤتي ثمارها، لا بد لها من أن تورق وتزدان لتلوّن الدنيا بألوانها بهاءً وسحرًا.

ومؤسسة محمد بن راشد لن تألو جهدًا لترسيخ خطى أصحاب المواهب الإبداعية وتعزيز ثقتهم بقدراتهم وإبداعاتهم، والأخذ بيدهم ليشاركوا الأمّة في مسيرتها نحو الريادة.

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وقد أعلن صاحب السمو عن تأسيسها في كلمته أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت - الأردن في أيار/مايو 2007. وتحظى هذه المؤسسة باهتمام ودعم كبيرين من سموِّه، فقد قام بتخصيص وقفٍ لها قدره 37 مليار درهم (10 مليارات دولار).

وتسعى مؤسسة محمد بن راشد إل مكتوم، كما أراد لها مؤسِّسها، إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي، من امتلاك المعرفة وتوظيفها بأفضل وجه ممكن لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة مستمدة من الواقع، للتعامل مع التحدّيات التي تواجه مجتمعاتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

جابريال جارسيا ماركيز

يترك الكاتب الكثير من نفسه في الكتاب الذي يؤلفه، وكذلك الكتاب يترك في نفس الكاتب الكثير.

التواصل مع الآخرين من خلال الكتابة وتأليف الكتب عمل مارسه الإنسان منذ عصور قديمة، حتى في وقت كانت الكتابة وحفظ الكتب فيه أمرًا شاقًّا، ومع قلّة عدد من يستطيع القراءة، فلقد كان هناك دائمًا حافز لدى العلماء والحكماء على حفظ المعرفة وإيصالها للناس من خلال التأليف. ولا يزال الأمر على ما هو عليه، برغم تيسّر الحصول على المعلومات. فإنك تجد، مع تيسّر سُبُل المعارف من طريق الإنترنت والجرائد والمجلات، أنّ هناك مَيْلاً لدى فئة من الناس لتأليف الكتب. ورغم توجّه بعض المؤسسات إلى إخراج الكتب بشكل صوتي، وبرغم ظهور ما يسمّى بالكتاب الإلكتروني، يبقى للكتاب جاذبيّته. ولقد ازداد المؤلّفون ودُور النشر تفنّنًا في إخراجه، وبقي الكتاب محبّبًا للقرّاء، وبقيت رغبة المؤلّفين في إخراج الكتب في ازدياد.

بيرفرستوك

تأليف كتاب في النهاية عمل يتركّز حول الذات (أناني) يقوم على فرضيّة أنّ وجهة نظرك يجب أن تقرأ وتقدّر من الآخرين.

ويتميز الكتّاب بأنّ لديهم رغبة في طرح أفكارهم وإطلاع الناس عليها والدفاع عنها. فالناس كلّهم تقريبًا يفكّرون ويكوّنون آراء بشكل أو بآخر، لكنّ لدى الكتّاب زيادةً على ما لدى غيرهم من الناس، الرغبة الملحّة في أن «يداعبوا» الأفكار ويطرحوها على الآخرين ويُبيّنوها لهم.

هناك أسباب كثيرة تدفع المؤلِّفين للتأليف، لكنّ الأسباب كلَّها تلتقي عند الرغبة في التواصل، فهناك رغبة من المؤلّف في أن يتواصل مع قارئ ما، بشكل أو بآخر، ويحسّ برغبة الفكرة في إظهار نفسها. فالذهن يصبح قَلِقًا من الفكرة حتى يبديَها، إما بالكلام أو بالكتابة. وقد تختلف أهداف هذه الرغبة في التواصل. فقد تجد مَن يؤلّف ليُعرف، وربما تجد من يؤلّف ليروِّج لفكرة، وتجد من يؤلِّف ليطرح رأيه، ومَن يؤلِّف ليكسِب قُوْتَهُ ورزقَه، وغير ذلك. فالكتابة أسلوب من أساليب التواصل. والعرب تقول «القلم أحد اللسانَيْن»، ويعنون بذلك أنّ الإنسان يُفصح عمّا في نفسه إمّا بالكلام (من طريق اللسان) وإمّا بالكتابة من طريق القلم.

لكن ليس كل ما يدعوك للكتابة بالضرورة سيدعو الآخرين لقراءة كتابك. وهذا تحدٍّ كبير بالنسبة للكتّاب والمؤلِّفين. فهم بحاجة، ليس فقط إلى أن يكتبوا، بل هم أحوج إلى أن يكتبوا شيئًا يجذب الناس للقراءة، وربما يجبرهم عليها. فلكي تكون كاتبًا يقرأ لك الناس، يجب أن تتعلّم فن الكتابة والتأليف. فكما تقول إلين ماري ألفين[1] : «الكتابة فن، لكنها نوع من التواصل (مع القارئ) فإذا فشل التواصل فشل الفن... وفشل التواصل خطأ الكاتب أكثر منه خطأ القارئ.»

موضوع هذا الكتاب تأليف الكتب، فهو يعرِّفك كيف تؤلِّف كتابَك، بدءًا باختيار الفكرة وتطويرها وانتهاءً بنشر الكتاب وتسويقه. لكن لا بد من التذكير بما قاله هيفرون[2] : «أعتقد أنّ كتب النصائح حول الكتابة قيّمة ويمكن أن تلهم بعض الناس وتمدَّهم ببعض التوجيهات التي توفّر الوقت والجهد، لكنها لا يمكن أن تكون بديلاً من الوقت الفعلي الذي تصرفه في الكتابة. فلا تستخدم هذا الكتاب أو أيّ كتاب آخر بديلاً من ممارسة الكتابة.»

فقراءة الكتب في فن الكتابة ومهارات التأليف ضرورية، لكن باقي عملية التعلّم يكمن في الكتابة نفسها.

وقد دفعني لكتابة هذا الكتاب، أوّلاً، وَلَعي الشديد بالكتب، فمنذ الصِّغَر وأنا

---

(1) The ABC of writing, p.30.

(2) The Writer's Idea Workshop, p.4.

أرافقها، ولا أجد سلْوَتي إلا فيها وبقربها. وثانيًا، نُدرة الكتب في هذا الموضوع باللغة العربية، مع كثرتها وتنوّعها باللّغة الإنجليزية. وما يحويه هذا الكتاب يختلف تمامًا عمّا يجده القارئ في كتب (أدب الكاتب) التراثيّة. فتلك تركّز على الصياغة اللغوية والبيانية، بل لعلّها تقتصر على ذلك. أمّا هذا الكتاب فيتحدّث عن أساليب التأليف والكتابة وآليّاتهما، ويُطلع القارئ على طرائق كثير من المؤلّفين في تأليفهم. وأنا متأكد من أنّ القارئ العربي سيجد فيه شيئًا لم يعهده في كُتب الكتابة العربية.

الكتابة فرصة ثانية للعيش. فحيث لا نستطيع أن نعيد الوقت لنعيش الحياة مرّةً أخرى، فمن الممكن العيش في الحدث مرة أخرى وتفسيره [من خلال الكتابة].

وما أجمل ما قاله الشيخ عبد الفتاح أبو غدة[3] : «وإذا صادف أنّك ألّفتَ كتابًا... فلا تظنّن بنفسك أنك بدء تاريخها... فهذا الذي منّ اللّهُ به عليك ـ إن كان ما رأيتَه صوابًا سديدًا قد استندّتَ فيه إلى جهود الأوّلين وإلى نبوغهم وتفانيهم في العلم... فأنت حَسَنَةٌ من حسَناتهم، شعرْتَ أم لم تشعر.»

يتكوّن هذا الكتاب من سبعة فصول، هي: الفصل الأول (هل تريد أن تصبح كاتبًا؟) يناقش بعض القضايا التي تتعلق بالكتابة من حيث هي عمل ومهنة يرغب بعض الناس في القيام بها. كما يعرّفك هذا الفصل العوائق التي تمنع عادةً من الكتابة أو إكمال التأليف، ويساعدك على التغلب عليها. ويناقش الفصل الثاني (أنواع التأليف) أنواع الكتب، حيث يعرض لعدد من الصور التي يمكن أن يؤلّف بها الكاتب. والفصول المتبقّية تسير مع مراحل عمليّة التأليف بحيث تقودك خطوةً خطوةً في عمليّة التأليف. في الفصل الثالث (الأفكار) يتمّ الحديث عن الأفكار التي هي المادّة الأولى للكتابة، فيشرح طرق الحصول على الأفكار وتطويرها. ويوضح الفصل الرابع (البحث) عمليّة البحث التي تكون قبل البدء بالكتابة الفعلية، فيبيّن لك لماذا تبحث

(3) صفحات من صبر العلماء، ص 386.

وأين تبحث. ويقدّم الفصل الخامس (الكتابة) توضيحًا لكثير من الأمور المهمّة للبدء بالكتابة، ويزوّد بتوجيهات للتغلّب على المشكلات التي تحدث عادةً في هذه المرحلة، خاصة ما يتعلق بالمشكلة التي يواجهها كلُّ كاتب وهي التوقّف أثناء الكتابة، وعدم القدرة على المواصلة. ويُبيّن الفصل السادس (التنقيح والمراجعة) المفهوم الصحيح للتنقيح وأهميّته، وكيف أنه جزء أساسي من عمليّة الكتابة، وليس أمرًا تكميليًّا. كما يزوّد القارئ بعدد من الاستراتيجيات الفعّالة لعملية التنقيح. وفي الفصل السابع والأخير (أنت والناشر) يتمّ الحديث عن الصفات التي يرغب الناشر عادة في رؤيتها في الكتاب حتى يقبل بنشره. كما يزوّد ببعض النصائح لأشهر الكتّاب حول الطريقة المُثلى للتعامل مع عمليّة النشر وصعوباتها.

وأخيرًا أقول ما قاله زيج زيجلار في كتابه (أراك على القمة) ص 27 : «أتمنى أن لا تكون مشغولاً بمقدار ما تستخرجه من الكتاب، وإنما بمقدار ما يستخرجه منك الكتاب.»

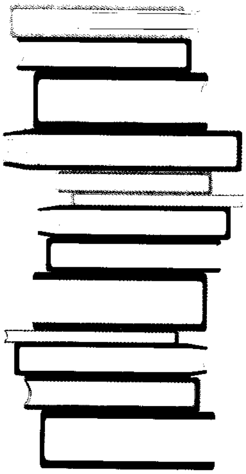

الفصل الأول

تريد أن تُصبِح مؤلِّفاً؟

الفصل الأول: تريد أن تصبح مؤلِّفًا؟

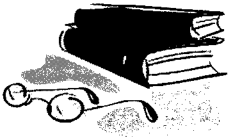

تريد أن تصبح مؤلِّفًا؟! هذا ممكن، لكن هناك ثمن عليك أن تدفعه. كثيرون يريد كل واحد منهم أن يكون مؤلِّفًا، ويجد رغبة في ذلك، لكن قليلون هم المستعدّون لدفع الثمن. الرغبة وحدها لا تكفي، ولا حتى الموهبة. هناك أشياء لا بد أن يقوم بها الكاتب ليصبح مؤلِّفًا يُنشر له (والأصعب أن يُقرأ له!). فمن يُنشر له ليس دائمًا هو الأفضل في الكتابة، بل في الغالب هو مَن تتوفر فيه خصائص مسانِدة لذلك.

هذا الفصل سوف يتحدّث عن هذه الأشياء التي تساعد على الكتابة والنشر، والتي لا بد للكاتب من الإحاطة بها إذا أراد أن يؤلِّف وينشر.

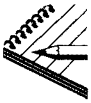

اجعل كتابتك عبادة

احتسِبِ الأجر فيما تكتبه، ولتكنْ كتابتُك عبادة، أو على الأقلّ أمرًا مُباحًا يخلو من الإثم. واحرص على أن يكون ما تكتبه شيئًا ينفعك يومَ القيامة. ما تنشره سوف يخرج عن سيطرتك، وسوف يتلقّاه الناس، وقد تصبح بسببه مشهورًا إلى حدٍّ ما. وسوف يبقى بعد موتك. فتصوّر نفسك تنظر في سجلّ أعمالك يوم القيامة، فهل سيسرُّك أن ترى ما كتبتَه، أم ستَوَدُّ لو لم يكن موجودًا؟ انظر كُتُبَ الضلال والإفساد التي مات أصحابُها وما يزال كثير من الناس يَضِلّ بسببها ويشقى، أو يجد فيها مادّةً لضلاله. تُرى ماذا يتمنى أصحابها الآن؟!

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ... كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤ – ٢٦]

الكتابة عمل عظيم وباب مهمّ من أبواب الإصلاح ونشر الخير، وتيسير العلم. لكنّ مشكلتها أنها أيضًا قد تكون بابًا من أبواب الشرّ ومصدرًا للفساد. فكن على حذر، ولا تتصوّر أنّ ما تكتبه سيذهب سدًى، فما تكتبه سيُكتب لك أو عليك، لا محالة!

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾. [سورة القلم: ١]

فالتأليف قد يكون لِمَن حَسُنَتْ نيّتُه، جهادًا ينشرُ اللهُ به الخير ويدفع به الفساد في الأرض. وقد عدّ ابنُ القيّم - رحمه الله - من أنواع الجهاد، الجهاد باللسان، ومنه الكتابة.

والتأليف في العلوم النافعة من العلم الذي يُنْتَفَع به، وهو من الأشياء القليلة التي يستمرّ أجرُها لصاحبها حتى بعد موته. كما في الحديث الصحيح: «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلا من ثلاث: صدَقةٍ جارية، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولَدٍ صالحٍ يدعو له.»

وقد يكون التأليف دعوةً للهدى والفضيلة، ينال صاحبُه مثلَ أجرِ كلِّ مَن عَمِل بذلك الخير، كما في الحديث الصحيح. ولك أن تتصوَّر ما ينالُه العلماء المتقدِّمون ممّن كتبوا العلم ونشروه بين الناس جرّاء عمل الناس بهذه الكتب والاستفادة منها.

فالكتابة قد تكون عبادةً لمن صلُحَتْ نيّتُه، واختار مِن الموضوعات ما كان نافعًا للقرّاء. ولو لم يكن في الكتابة والتأليف إلا هذا لكفى.

مُعَوِّقاتُ الكتابة

كما أسلفْت، كثيرون يريدون أن يصبحوا كتّابًا، ويؤلّفوا كُتُبًا. لكن هناك عوائق كثيرة تحول دون ذلك. وأنا هنا لا أتكلم عن العوائق الخارجيّة، بل أقصد العوائق التي ترتبط بشخص الكاتب، أو مَن يريد أن يُصبح كاتبًا. والمُلاحَظ أنّ كثيرًا من الكتّاب يضعُفُ أمام هذه المُعَوِّقات، ويستجيب لها. ولعلّ الفارق بين من يتوقّف ولا يَنشر ومَن يُكْمل تأليفه وينشر، هو القدرة على التعامل مع هذه المُعَوّقات والمهارة في ذلك، أكثر منها الموهبة في الكتابة. وفيما يلي عرض لأهم مُعوّقات الكتابة، وكيفيّة التخلّص منها:

التسويف

«سوف أكتب في الإجازة.»

«سوف أتفرغ للكتابة بعد التقاعد.»

«العام القادم سوف أبدأ بتأليف الكتاب.»

عبارات ليست غريبة على من «يريد» أن يؤلِّف أو يكتب. والواقع أنّ مَن يُكثر من استخدام (سوف...) ويُجيد ذلك، ففي الغالب أنّه لن يكتب شيئًا. فليس شيء أسهل من دفع الكتابة جانبًا باستخدام كلمة (سوف...).

يقول كانفيلد الكاتب المشهور في مجال النجاح وتطوير الذات[4] «إن بعض الناس يقضي حياته بأسرها في انتظار الوقت المثالي للقيام بعمل ما، ونادرًا ما يكون هناك وقت «مثالي» للقيام بأي عمل. المهم أن تبدأ وحسب.»

كثيرًا ما ينشغل الكاتب عندما يهمّ بالكتابة ليس بالأفكار التي سيكتب عنها، بل بالأعذار التي ستخلِّصه من الكتابة! وتأخيرُ البدء بالكتابة يكون لأسباب كثيرة، وكلّما اختفى سبب للتسويف أطلّ بدلاً منه أسباب.

مشكلة الكتابة أنّ تركَها، والانشغالَ عنها بأيّ شيء، من أسهل الأشياء، فلا تتذكّر الردَّ على البريد الإلكتروني، ولا تصفُّح الكتب الجديدة لديك، ولا قراءةَ الجرائد والمجلاّت أو شيئًا من الأعمال الجانبيّة إلاّ إذا عزمْتَ على الكتابة. لذلك فالكتابة تحتاج من الكاتب أن يقسِرَ نفسه عليها، ويمنعَها من ممارسة هذه الأشياء المشتِّتَة.

«إنّ تأليف كتابٍ هو أصعب عمل يمكن أن يقوم به إنسان.»

(4) مبادئ النجاح، ص 103.

ليس لديّ وقت

يعتذر كثير من الناس عن الكتابة بأنه ليس لديه وقت لها. والصحيح أنّ هذا العذر يُخفي وراءه حقيقةً مهمّة وهي: (لا أريد الكتابة). يذكر ستيف تشاندلر في كتابه (قصة حياتك) أنه في إحدى وِرَش العمل التي يُقيمها مؤلِّف الروايات البوليسية لورانس بلوك، طرح أحد المتدرِّبين سؤالاً على لورانس، فقال: «كيف تجد وقتًا للكتابة؟» فأجابه بحزم: «إذا كنتَ لا تكتب فالسبب بكلّ بساطة أنك لا تريد أن تكتب، وهناك أشياء تفعلها لأنك ترغب في فعلها. فلماذا تجشّم نفسَك عناء إدارة الوقت على أية حال؟ ولماذا تُرهق نفسك بحضور وَرْشَةِ كتابة؟ عندما يكون هناك ما تودّ أن تنجزَه في حياتك حقًّا، فأنت لستَ في حاجة لإيجاد الوقت المناسب لإنجازه، لأنك ستكون قد كرّست له الوقت اللازم بالفعل وستجد أنك تنجزه بالفعل.»

فأعباء الوظيفة، ومسؤوليّات الأسرة، والارتباطات الاجتماعيّة كلُّها حاضرةٌ لتكون أعذارًا تمنعك من الكتابة. لكن تأكّدْ أنّ ما لديك من أعذار موجود لدى أكثر الكتّاب قديمًا وحديثًا. الفرق كان في مقدار الرغبة في الكتابة. بعبارة أخرى، هل الرغبة لديك في الكتابة من الشّدة والإلحاح بحيث تجعلك تؤجّل أعمالاً ليست ضروريّة، أو تتخلّص منها بالكلّية لتوفر الوقت للكتابة؟ إذا كنتَ تجد الوقت للأشياء التالية، فليس لديك عذرٌ في عدم إيجاد وقت للكتابة:

- الرد على كل مكالمة هاتفية وفي كل وقت
- مشاهدة المباريات الرياضية على شاشة التلفزيون
- متابعة الأخبار على أكثر من قناة
- متابعة البرامج الحوارية على شاشات التلفزيون
- الجلسات الدوريّة الأسبوعية

وتذكّر أنّ الخطَّ الفاصل بين النّجاح والفشل ـ كما يقول هنري ديفنبورت ـ يمكن التعبير عنه بثلاث كلمات: (ليس لديّ وقت) وهذا ينطبق على الكتابة وعلى أنواع الإنجاز كلّها.

فإذا كنت تستطيع أن تجد الوقت لأكثر هذه الأشياء (أو نحوها) فلديك الكثير من الوقت الضائع. كلّ ما تحتاجه أن تكتسب عادة الكتابة، بدل هذه العادات.

كان كاتب الأدب الشعبي الأمريكي جيمس باترسون يحب أن يكتب، وكان مشغولاً بعمل شاقٍّ، فكلُّ ما فعله لكي يكتب أنه أصبح يقوم الساعة الرابعة والنصف فجرًا كلّ يوم ويكتب حتى السادسة صباحًا.

فالوقت لدى الجميع هو أربع وعشرون ساعة في اليوم، وسبعة أيام في الأسبوع، ولا يمكن لأحد أن يزيد على ذلك لحظة واحدة. لكنّ الناس يتفاوتون في توفير الوقت من هذه المدة. والمشاهَد أنّ من رغِب بقدرٍ كافٍ في شيء وعزم على أدائه فهو غالبًا سيجد الوقت لذلك. وإذا لم تبلغ الرغبةُ في الكتابة مستوًى يجعل الأولويّة لها، فربما لن تجد الوقت للكتابة أبدًا.

> يقول الكاتب التركي الساخر عزيز نيسين في كتابه (آه منا ... نحن المثقفين الجبناء!) ص 101 «... لن يتخلص المبدعون من مشكلة ضيق الوقت، لأنّ عمل المبدع ليس محدودًا ولا مرتبطًا بساعات العمل اليوميّة، ولا بأيام العمل الأسبوعيّة، بل هو مرتبط به، أي بالمبدع فقط. لأن آليّة [الإبداع] عند المُبدِع تجعله مضطرًا للعمل ضمن ساحة اللاشعور، أثناء الاستراحة وأثناء النوم، حسب رأي بلزاك.»

وهو هنا يشير إلى عبارة بلزاك: «أعملُ أثناء الاستراحة وأستريح أثناء العمل!» وقد كتب عزيز نيسين أكثر من خمسة وخمسين كتابًا، ويقول إنه كتب أكثر من ألف قصة، حتى نعته بعض أصدقائه بأنه مطبعة.

والصحيح أنّ الوقت يمكن توفير الشيء الكثير منه للكتابة أو لأيّ شيء آخر، من خلال عدم إضاعته فيما لا ينفع، وإدارته بشكل فعّال. قُم بقراءة كتاب في فنّ إدارة الوقت، أو حضور برنامج تدريبي في ذلك وستفاجأ كيف أنك أنت مَن يُضيع الوقت وربما دون أن تشعر، وستتفاجأ أكثر بمقدار الوقت الذي يضيع عليك.

المشكلة هي أنّ كثيرًا ممّن يريدون الكتابة ويدّعون أنهم لا يجدون الوقت يسمحون بضياع يومين في الأسبوع في أمور تافهة، وربما ساعتين كل يوم في ترفيه غير ضروري، ويصرفون كثيرًا من الوقت فيما ليس بضروري، ثم يعتذرون بعدم وجود الوقت للكتابة. أقام عبيد بن يعيش، أحد رواة الحديث، ثلاثين سنة ما أكل بيده في الليل، كانت أخته تُلَقِّمه وهو يأكل، لكي لا ينقطع عن كتابة الحديث! وقد كان

العلماء قديمًا يقولون: «ينبغي لطالب العلم أن يكون سريع المشي، سريع الأكل، سريع الكتابة، سريع القراءة.» والحافظ ابن عساكر كان آيةً في حفظ وقته، قال عنه ولدُه: «كان يحاسب نفسَه على لحظة تذهب، ولم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتسميع حتى في نزهته وخلواته.» ولذلك خلّف كتبًا كثيرة بلغت خمسين كتابًا، منها كتاب تاريخ دمشق في ثمانين مجلّدًا.

الفيلسوف الدكتور عبد الرحمن بدوي، ألّف وحقّق مائة وخمسين كتابًا، من الكتب الكبيرة. سأله بعض تلاميذه عن سرّ هذا الإنتاج الغزير وكيف يجد الوقت لذلك، فأجاب: «الذي أشكو منه أحيانًا هو الفراغ! لا تتعجَّبْ، يكفي أن يعمل الإنسان بجدّ أربعَ ساعاتٍ في اليوم قراءةً وكتابةً، إلى جانب أعماله اليومية، ليُنتج أضعاف ما أنتجتُ... المهم في جميع الأحوال هو الاستفادة التامّة من الساعات المخصَّصة للعمل، وذلك بالتركيز التام، وحشد الخاطر، ثم المثابرة دون انقطاع سواء في الكتابة أو في القراءة، ولنتصور مثلاً أن يكتب الإنسان في اليوم صفحتين أو ثلاثًا، ففي خلال أربعين سنة يكون قد أنتج أكثر من مائة كتاب.»[5] ألَّفَتْ ناتالي ساروت الكاتبة الفرنسية ذات الأصل الروسي ما تعدُّه أجمل كتبها، رواية (هنا) في ثلاثمائة صفحة، وهي في الخامسة والتسعين، واستغرقت في كتابتها ستَّ سنوات.

أحمد بك الحُسيني، كان نحّاسًا، بل كان شيخًا للنحّاسين. وكان ينقطع للعلم وقت فراغه، وله عدد من الكتب، بل شرح جزءًا من كتاب (الأم) للشافعي في أربعة وعشرين مجلدًا، وتوفي قبل أن يُكْمِلَهُ، (وسمّاه اسمًا لطيفًا: مرشد الأنام لبرِّ أمِّ الإمام) يعني كتاب (الأم) للإمام الشافعي رحمه الله[6].

ويقول الكاتب كالدويل:
«تعلّمتُ ما أعتبره درسًا مفيدًا، بأنه يجب على الكاتب أن يدّخر فسحة كافية من الوقت لممارسة مهنته وحمايتها بكلِّ حماس، وإلا سيجدُ أنّ العديد من أيامه قد أُهدر في أنشطة مثيرة لكن غير مفيدة.»[7]

المسألة تحتاج إلى حزم للحدّ من مضيّعات الوقت وسرّاقه! ويشير نيسين إلى أن الوضع المعاصر للتمدّن

(5) عبد الرحمن بدوي، فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، ص 163.

(6) نهاية المطلب، للإمام الجويني، (المقدمات) لمحقّقه الدكتور عبد العظيم الديب.

(7) اسمها تجربة، ص 127.

يدفع الكتّاب إلى الانغلاق على أنفسهم لتوفير الوقت وإلى حبسها في نطاق ضيّق وإلى الانعزال والانغلاق عن مجالات الإبداع الأخرى. وقد أشار أيضًا الروائي ستيفن كنج إلى أن الكاتب يحتاج إلى أن يكون جريئًا في كسر القواعد الاجتماعية لتوفير الوقت.

الناقد الداخلي

الناقد الداخلي، دون مبالغة، عدوّ للكتابة، خاصة عند البداية أو أثناء المسوّدة الأوّلية. فداخل كل إنسان سويّ جهاز ـ لا يُدرى ما طبيعته بدقّة ـ مهمّته النقد والمراقبة، والتحذير، وإظهار أسوأ الاحتمالات.. وهو دائمًا يدعو الكاتب للإحجام ومراجعة ما كتبه وعدم التعجّل، ويبيِّن له كل نقاط الضعف المحتملة في ما يكتبه. ويصوّر له ما كتبه على أنه شيء غير جيد وربما سخيف، ومن الأفضل ألا يُخرجه.

قد يكون هذا الجهاز (النّفس اللّوامة) أو (الضمير) أو (الجزء الأيسر من المخ)، أو غير ذلك. لا يهمّ، المهمّ أنّ هذا الجهاز يشعر به كلُّ إنسان سويّ في الحالات العادية.

هذا الناقد عمله عظيم، وقد وُضع لحكمة. وستستفيد منه قَطعًا في وقت لاحق، لكن يجب أن تُوقفه في بعض الأحيان خاصةً عندما تبدأ بالكتابة. لأنّ الأحكام التي يتخذها في الغالب فيها مبالغة، وقد يكون صحيحًا في جزئية مما تكتب، لكن حكمه ينسحب على كل ما تكتبه. فلذلك، من الحكمة أن تكتب ولا تلتفت إليه. وتؤجِّل عمله إلى مراحل متأخرة من التنقيح. ولن تستطيع أن تنطلق في الكتابة حتى تستطيع التحكم بهذا الناقد ولو مؤقّتًا.

الخوف

من مُعَوِّقات الكتابة الخوف. الخوف من نقد الآخرين، الخوف من البوح بالمكنون أو الخوف من الظهور بمظهر السطحي أو الساذج. ومن أعراض هذا الخوف التعذّر بأعذار مثل:

- **لم أنل التعليم الكافي، فأنا لا أحمل الدكتوراه**
- **لا يؤلِّف إلا المفكّرون أو الكتّاب الكبار**
- **لن أجد من يهتمّ بما أكتب أو يقرأ لي**
- **لن أجد من ينشر لي**
- **كُتِبَ الكثير في الموضوع**

يقول جاك كانفيلد[8] : «هناك أناس سيحاولون إقناعك بالتخلّي عن رؤيتك، وسيخبرونك بأنك مجنون وبأنه من غير الممكن تحقيق تلك الرؤية. وسيكون هناك آخرون يسخرون منك ويضحكون عليك ويحاولون النزول بك إلى مستواهم... هؤلاء الناس يسمّون سارقي الأحلام ، فلا تُنصتْ لهم.»

والخوف موجود لدى كل كاتب، وإن بِنِسَب متفاوتة، وما لم تكن الرغبة في الكتابة تفوق الخوفَ وتتغلبُ عليه فلن يستطيع الكاتبُ أن ينشر.

سبع خرافات عن الكتابة

ساق هيفرون في كتابه (ورشة عمل الكاتب) سبع قناعات أسماها «خرافات» حول الكتابة والتأليف. أذكرها هنا، بتصرّف، مع التوسع في مناقشتها:

الأولى: الكتّاب يولدون ولا يُصنعون.

هذا وهم يعتقده كثير من الناس، إذ يعتقدون أنّ الكتابة موهبة تولد مع الكاتب، ومَن لم تولد معه تلك الموهبة فلا يمكن أن يكون كاتبًا. وهذا غير صحيح. فالموهبة قد توجدُ الخيال وهو بذرة الكتابة، وقد تسرّع من تطور الكاتب، وقد تسهّل عملية الكتابة، لكنّ الكتابة أيضًا مهارات يمكن أن تُكْتَسب، وتُنَمّى بالدراسة والتدريب وبالمِران. قال الرافعي رحمه الله عن مؤلَّفات الشيخ محمد عبده: «... كنتُ من يومين ساخطًا متبرِّمًا، فتناولت الكتاب الذي جمعت فيه آثار الشيخ محمد عبده، وهو عندي منذ طُبِع ولكني لم أقرأه، ثم أخذتُ أتصفّحه من

(8) مبادئ النجاح، ص 31.

أوّله فرأيت كتابة الشيخ أيّامَ بدأ يكتب لا تستحقّ أن تُقرأ ولا تساوي شيئًا... وبعد سنة واحدة رأيت للشيخ آثارًا لا بأس بها. ولم تكد تمضي سنتان حتى تدفّق الرجل ثم استفاض بعد سنوات، ثم ظهر الشيخ محمد عبده كما عُرف بعد ثمان سنين.»[9]

يقول ستيفن كنج، الكاتب القصصي الشهير: «الموهبة أرخص من ملح الطعام، ما يفرّق بين الشخص الموهوب والشخص الناجح هو العمل وبذل الجهد.»[10]

الثانية: الكاتب الجيّد يكتب بسرعة

يعتقد كثير من الناس أنّ الكاتب الجيّد هو من يكتب ويؤلّف بسرعة، وقد يكون من الكتّاب الجيِّدين من يكتب بسرعة، لكن ليس هذا بالضرورة حال كلّ الكتّاب الناجحين، فالكتابة الجيّدة ليس لها علاقة بسرعة الكتابة. وقد يحتاج تجويد الكتابة إلى وقت ومعاناة في استخراج الأفكار وإنضاجها وصقلها، لكن سرعة الكتابة لا علاقة لها بجودة المكتوب، فأصحاب الحوليّات (القصائد التي تؤلَّف في سنة) كانوا يمضون سنة في تجويد قصائدهم، مع أنهم من أعيان الشعراء.

الثالثة: يجب أن ينتظر الكاتب الإلهام ليكتب

يعتقد بعض الناس ممن يرغب في أن يكون كاتبًا، أن الأفكار تنزل على الكتّاب على شكل إلهام، بحيث تهجم عليهم دون مقدِّمات. وهذا قد يكون صحيحًا في بعض الأحيان، لكنّ الأفكار عادةً، ولدى أكثر الكتّاب، تحتاج إلى استمطار، وتحتاج إلى معالجة لتكتمل وتصبح قابلة لأن تُطرح بشكل مكتوب. فهناك آليّات وأساليب لتوليد الأفكار واقتناصها وتطويرها. وأكثر أفكار الكتب يتمّ بهذه الطرق ولا يأتي عن طريق الإلهام. فالكاتب يجب أن يبحث عن الأفكار ويستدرّها، ويولّدها، ويتولاها بالرعاية حتى تكبر. وكثيرًا ما تكون الأفكار حول الكاتب، ترفرف وتنتظره ليجعلها تهبط على الورق من خلال الكتابة، بينما هو ينتظرها حتى تهبط عليه ليكتب.

(9) من رسائل الرافعي، ص 77.

(10) مبادئ النجاح، ص 136.

الرابعة: يكتب الكاتب الجيّد بشكل جيّد من أوّل مرّة

يعتقد بعض الناس أنّ الكاتب الجيّد يجب أن يكتب بشكل جيّد من أوّل مرّة. وربما عزّز هذا الوهم دروسُ الإنشاء في المدارس، حيث يفوز غالبًا من يحفظ أساليب مستهلَكة لكتّاب مشهورين، يضعها بشيء من التحوير في كلّ موضوع إنشاء. والصحيح أنه حتى الكتّاب الكبار يحتاجون إلى مراجعة ما يكتبون، وتحريره. وقد يتوقّفون أثناء التأليف لمدد طويلة، لدرجة أنهم قد يهجرون أعمالاً دون أن يكملوها، مع رغبتهم في ذلك. المشكلة أننا لا نرى عادةً إلا النُّسخ النهائيّة ممّا يكتبون، وربما بعد أن تمرّ على بعض المراجعين والمصحّحين، فنظنّ أنّ هذه هي كتابتهم ونقارنها بما نكتبه نحن في المسودّات الأوّليّة. فكثير من الكتّاب الجيّدين يحتاج إلى مراجعة وإعادة كتابة ليخرج ما يكتبه بشكل جيد.

> وقد كان جابريال غارسيا ماركيز الكاتب القصصي المشهور يستمر في التعديل في رواياته حتى بعد صدور الكتاب في الطبعات التي تلي الطبعة الإسبانية.

الخامسة: المراجعة هي قراءة مسوَّدة العمل وتصحيح الأخطاء الإملائيّة والنحويّة

يعتقد بعض الناس أنّ المراجعة هي تصحيح الأخطاء الشكليّة، سواء النحويّة أو الإملائيّة أو ما يتعلّق بالترقيم وحسب، مفترِضين أنّ الكاتب يجب أن يقدّم النصّ للمراجعة بصورة شبه نهائيّة وشبه مكتملة. والصحيح أنّ المراجعة هي لإكمال العمل، ووضعه في صورته النهائيّة، فهي جزء أساسي من عمليّة التأليف والكتابة (وسيأتي الحديث مفصّلاً عن ذلك). وعمليّة تصحيح الأخطاء النحويّة والإملائيّة هي مراجعة نهائية. فالمراجعة تتعلّق بالمحتوى والأفكار، وترابُطها وتسلسُلها، فهي تُعنى بالعمليات الأساسيّة للكتابة وليس الشكليّة.

السادسة: هناك فقط طريقة واحدة للكتابة

هذا أيضًا وهمٌ يعتقده كثير من الناس، فيُجْهِدون أنفسهم في البحث عن

الطريقة التي يسلكها الكتّاب المشهورون ليتّبعوها. لكن يلحظ من يطّلِع على أساليب الكتّاب في الكتابة تنوّعًا فيما بينهم، بحيث يمكن أن يكون لكلّ مؤلِّف أسلوبه الخاص في الكتابة. فمنهم من يضع مخطّطًا يسير عليه، ومنهم من لا يضع، ويرى أن المخطَّط يُعيق أفكاره. ومنهم من يبدأ بالبحث قبل الكتابة، ومنهم من يكتب ما لديه، ثم يبحث لسدّ الفراغات وتصحيح الأخطاء أو تعميق الأفكار وتفريعها. ومنهم من يكتب الفصل ثم يراجعه قبل أن ينتقل للفصل التالي، ومنهم من يكمل الفصول ثم يراجع الكتاب كاملاً. فكلٌّ كاتب له أسلوبه.

نعم هناك أساليب عامة يتّفق عليها أكثر الكتّاب والمؤلِّفين، ولو من حيث المبدأ، لكن هذا لا يعني أنّ هذه الأساليب والطرق يجب أن تكون صحيحة لكلّ الكتّاب. فأسلوب الكتابة في جوانب كثيرة منه أمر شخصي. وتتدخّل فيه الفروق الفردية. ويمكن النجاح والتميّز عبر اتّباع أيّ منها.

السابعة: الكتابة مهنة المفلسين

شاع أنّ الفقر ملازم لمحترفي الأدب، بل صار من الأقوال السائدة إذا أريد التعبير عن افتقار كاتب أن يقال: «أدركتْه حرفة الأدب، فافتقر.» وهذا قد يحدث، لكنّه ليس صحيحًا في كل حال. فالكتابة والتأليف قد يكونان مصدر ثراء للمؤلِّف، خاصة إذا عرف كيف يوافق رغبات الناشرين، فيكتب فيما يُقبل عليه القرّاء. وقديمًا كان كثير من الأدباء يُهدي كتبه للأمراء والخلفاء، أو يؤلِّفها بطلب منهم فينال عليها مكافآت كبيرة. فقد ألّف أبو عبيد القاسم بن سلاّم، من علماء القرن الثالث الهجري، كتابه (الغريب المصنَّف) في ثلاثين سنة وعرَضه على الأمير عبد الله بن طاهر، فقال: «إنّ عقلاً بعث صاحبَه على عمل هذا الكتاب حقيقٌ ألا يُحوَج إلى طلب المعاش» وأعطاه ألف دينار.

وحتى في العصر الحديث نرى التأليف سببًا لثراء بعض المؤلِّفين. فمؤلِّفة روايات هاري بوتر... كانت مؤلِّفة مغمورة، وبمجرّد أن نشرت رواياتها واشتُهرت،

صارت من أكثر الناس شهرة ودخلاً. وعزيز نيسين يذكر أن كتابته تزيد بحسب حاجته الماديّة. وما أجمل ما ذكره كانفيلد عن مالكوم فوربيز من أنّ أكبر خطأ يرتكبه الناس في حياتهم هو عدم محاولة كسب قُوتِهم من خلال القيام بالعمل الأكثر متعة لهم. والكسب الماديّ لا يتنافى مع طلب الثواب من اللّه. فمَن صحّت نيّته، وقصدَ الأجرَ من الله بنفع الناس، فلا يضرُّه إذا كسب المال من تأليفه.

صفات الكتّاب النَّاجحين

هناك صفات تكاد تكون ملازمة لكلّ الكتّاب النَّاجحين، وتشير كتب فنّ التأليف إلى تحلّي أكثر الكتّاب المشهورين بها. أذكرها هنا مع بيان بعض الأمثلة، من الكتّاب المعاصرين والمتقدّمين:

الصفة الأولى: الصبر

صفة الصبر لازمة لكلّ إنجاز ونجاح في أيّ مجال. والتأليف ليس استثناء. فالمؤلِّفون المكثِرون يحتاجون إلى الصبر من أوجه عدّة:

1. الصبر على الكتابة. فالكتابة والبحث وتطوير الأفكار تحتاج إلى كثير من الصبر. فقد يصرف الكاتب ساعات يبحث في موضوع ثم لا يعود منه بشيء، أو يكتب في فكرة ثم يتبيّن له خطؤها، أو عدم مناسبتها لما هو فيه من موضوع. وقد يحتاج البحث في فكرة صغيرة في الكتاب إلى جهد في البحث والكتابة يعادل ما يحتاج إليه بقية الكتاب. اشتغل محمد بن سحنون في تأليف كتابٍ إلى الليل، فأحضرتْ جاريته الطعام، فآذنَتْه ليأكل، فقال: «إني مشغول الساعة.» فلما طال الأمر عليها، جعلت تُلقمه الطعام حتى أكمله، واستمرّ هو فيما هو فيه حتى أُذِّنَ لصلاة الصبح، فقال لجاريته: «شُغِلنا عنكِ الليلة، هاتي الطعام»، فقالت: «قد والله ألْقَمْتُه لك»، فقال لها: «ما شعرتُ بذلك.»[11]

(11) ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 114، عن صفحات من صبر العلماء 123.

2. الصبر على المراجعة والتنقيح. فالكتابة لا تنتهي عند أول مسوَّدة، بل تحتاج إلى مراجعات. ومِن أشقّ الأشياء على الإنسان أن يكرر قراءة ما كتبه مرّات ومرّات، لأنه يصاب بالملل من كثرة ترديده له.

3. الصبر على رفض النشر. فبعد معاناة مع الكتابة والمراجعة، ليس من المعتاد أن تجد ناشرًا يرحِّب بكل ما تَكتُب. فلذا كان لا بدّ من الصبر على رفض الناشرين.

4. الصبر على النقد. فحتى بعدما تنشر الكتاب، سيتعرّض الكتاب في العادة للنقد، فالمؤلِّف بحاجة إلى صبر على ما يوجَّه له من نقد، سواء لشخصه أو لأفكار كتابه. وليعلم أنّ هذا أمر طبيعيّ تقريبًا لكلّ ما يُنْشَر. ولا يَسْلَم مِنْه أحد. والعرب تقول: مَنْ ألّف فقد استُهْدِف، أي صار هدفًا للنقد.

«فالإصرار هو على الأرجح الصفة المنفردة التي يشترك فيها الغالبيّة العظمى من الناجحين أصحاب الإنجازات الضخمة. إنهم ببساطة يرفضون الاستسلام. فكلّما طال وقت تشبُّثك وإصرارك على ما تريد زادت احتمالات حدوث شيء ما لصالحك، وإن بدت الأمور عسيرة؛ وكلّما زاد إصرارك زاد احتمال نجاحك.»[12]

قال ابن جرير الطبري المفسِّر لطلاّبه قبل وضع كتابه الكبير في التفسير: «أتنشطون لتفسير القرآن؟» فقالوا: «كم يكون قدْرُه؟» فقال: «ثلاثون ألف ورقة!» فقالوا: «هذا ممّا تفنى الأعمار قبل تمامه!» فاختصرَه في نحو ثلاثة آلاف ورقة. تكلّم فيها عن تفسير القرآن كلمةً كلمةً من نواحٍ عدّة، لغةً وفقهًا وتفسيرًا وغير ذلك. والكتاب، كما قال محمد كُرْد علي[13]: لو أراد عالِمٌ أن يصنّف منه عشرةَ كتب، كلٌّ كتابٍ منها يشتمل على علمٍ مفرد مستقصًى، لَفَعَل.

رأى رجلٌ مع الإمام أحمد بن حنبل مِحبرة، فقال له: «يا أبا عبد الله، أنت قد بلَغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين» - يعني وتحمل المِحبرة ؟ - فقال: «مع المِحبرة إلى المقبرة.»

---

(12) مبادئ النجاح، لكانفيلد، ص 171.

(13) كنوز الأجداد، ص 116.

وقيل إنّ ابن دريد، صاحب (الاشتقاق) و(المقصورة) أملى كتابه (الجمهرة) من حفظه وهو في الرابعة والسبعين من عمره. وما استعان عليه بشيء من الكتب، إلا في باب الهمزة والألف[14].

وقد ألّف الرافعي الجزء الأول من تاريخ آداب العرب في ثلاثة أشهر مع اشتغاله بأعمال الوظيفة، وكتب (حديث القمر) في مدة لا تزيد على أربعين يومًا، مفرغًا له ساعتين كل يوم[15]. وتقول آن مانهيمر: «النجاح في الكتابة يأتي لأولئك الذين لديهم القليل من الموهبة لكن الكثير من الصبر[16].» وكان كالدويل يكتب لمدّة تصل لاثنتي عشرة ساعة في اليوم، يكتب القصة بعد القصة، ويعيد كتابة المسوّدات.

الصفة الثانية: تقييد الأفكار وتسجيل الفوائد

عبّرتُ هنا بكلمة «تقييد»، وذلك لأنّ الأفكار تشرد كما تشرد الأوابد، فلا بدّ من تقييدها. وقد كان الإمام البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمرّ بخاطره، ثم يطفئ السراج، ثم يقوم مرّةً أخرى وأخرى حتى يتعدّدَ ذلك منه قريبًا من عشرين مرّة.

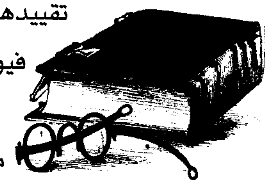

ولا بد لكلّ مؤلِّف من كُنَّاش[17] أو مفكِّرة يدوّن فيها ما يمرّ به من أفكار وفوائد. ومن الخطأ الاعتماد على الذاكرة، مهما كانت قويّة. وما أحسنَ ما قيل من أنّ أردأ حبر أفضل من أجود ذاكرة. فتسجيل ما يمرّ على الإنسان من فوائد أثناء قراءته ومطالعته، وتصنيف هذه الفوائد والمرور عليها بين حين وآخر، يساعد على أمرين:

الأول: الحصول على نُقول وأفكار تؤيِّد الأفكار التي يريد المؤلِّف الكتابة عنها، والوصول إليها بسرعة. فبدلاً من إجهاد النفس في البحث تكون هذه النقول جاهزة ومصنَّفة. وعادة ما تكون الفوائد مقتنَصة من غير مظانّها، وبالتالي قد لا يصل لها المؤلِّف في عمليّة البحث العادية التي تسبق الكتابة.

(14) كنوز الأجداد، ص 119.

(15) من رسائل الرافعي، ص 58.

(16) ABC of Writing, p. 43.

(17) كنّاش بضمّ الكاف وتشديد النون: المفكِّرة التي تسجَّل فيها فوائد متناثرة.

الثاني: إن هذه النقول قد تكون هي نفسها مصدرًا للأفكار.

وهذا الكُنّاش أو قيْدُ الفوائد قد يكون بعد سنين مؤلَّفًا ممتعًا بذاته.

الصفة الثالثة: كثرة القراءة

يقول ابن الجوزي: «ما أشبعُ من مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتابًا لم أره فكأنّي وقعتُ على كنز ... ولو قلتُ إني طالعتُ عشرين ألف مجلّد كان أكثر وأنا بعد في الطلب...» وابن الجوزي كان من المكثرين من التأليف.

لا يمكن أن يكون الكاتب جيِّدًا، إلاّ وهو قارئ مُكثر. فالقراءة:

- **تزيد المعلومات. فمَن لا يطّلع على الجديد ويضيف إلى معلوماته يكرِّر نفسه، ولا يجد من المعلومات ما يقدِّمه.**
- **تُثري الأفكار، فالأفكار تتوالد مع القراءة وتتشعّب وتنمو.**
- **تعمّق التحليل، وذلك لكثرة التأمّل والتدقيق فيما يقرأه، ولاطّلاع الكاتب على جميع جوانب موضوعه.**
- **تجوِّد الأسلوب، فبالقراءة يزداد الأسلوب رصانةً وتنمو الحصيلة اللغوية**
- **هي أداةُ البحث الرئيسة.**

والكاتب الذي لا يقرأ، أو قليل القراءة يفقد القارئَ، لأنه لا يكون لديه جديد. فيكون كالنار تأكل نفسها إن لم تجد حطبًا تأكله. يقول هيفرون: «إنّ القراءة جزء مهمّ من عمليّة تعلّم الكتابة، وإن كان هناك سرّ لتعلُّم الكتابة غيرُ الكتابةِ والكتابةِ والكتابةِ، فهو القراءةُ والقراءةُ والقراءةُ، وكلُّ الكتّاب الجيّدين الذين أعرفهم كانوا محبّين للقراءة.» ويضيف: «لا تحاولْ كتابةَ قصّة حتى تكونَ قد قرأتَ خمسين قصّة، أو على الأحسن مائة، والشيء نفسه يقال في المقال والقصيدة والرواية...»(18)

يقول الرافعي: «... اقرأ كلَّ ما تصل إليه يدُك فهي طريقة شيخِنا الجاحظ.

(18) THE WRITER'S IDEA WORKSHOP, P. 77

وليكن غرضُك من القراءة قريحةً مستقلّةً وفكرًا واسعًا ومَلَكَةً تقوى على الابتكار. فكلُّ كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه...»

ويقول: «فاقرأ كلَّ شيء، وهذه هي طريقة الجاحظ، لكن لا تترك كتب البلاغة العربية، كالأغاني وكتب الجاحظ إلخ. فأنت في حاجة إلى الأسلوب، إذ هو وحده الذي يظهر الكاتبَ، وهو وحده الذي تتمثّل فيه الشخصية.»[19] ويقول جاك كانفيلد المؤلِّف الشهير في تطوير الذات: «قرأت آلاف الكتب، بمعدّل كتاب لكلّ يومين.»

ويقول الكاتب كالدويل: «كنتُ أقرأ القاموس في وقت الفراغ، بدلاً من قراءة الروايات والمجلات. وبتقديري لم يُكتَبْ كتابٌ أكثرُ سحرًا وتحفيزًا وتعليمًا وإشباعًا من القاموس، بكلّ ما فيه من معلومات مفيدة وكلمات مغرية.»[20]

الصفة الرابعة: كثرة الكتابة

يقول هيفرون: «بقراءة الأعمال الجيّدة تتعلّم الكتابة الجيدة» ويقول: «وقد لاحظت أن الكتّاب الذين لا يتطورون هم الذين لا يقرأون.»[21]

إذا كانت القراءة هي الجناح الأول للكاتب، فالكتابة والتدرّب عليها هو الجناح الثاني. كل مهنة يُتوقَّع من صاحبها أن يتدرّب عليها لكي يُجيدَها. لكنّ كثيرًا من الكتّاب يتوقّعون أن يجيدوا الكتابة دون تدرُّب.

وكتب الرافعي في رسائله لأبي ريّة: «ينبغي أن تكتبَ دائمًا، فإنّ فكرك كما يظهر في حاجة إلى المِران حتى تستجيب للمعاني والأساليب.»

وقال: «وما أرى أحدًا يُفلح في الكِتابة والتأليف إلا إذا حَكم على نفسه حُكمًا نافذًا بالأشغال الشاقّة الأدبيّة، كما تحكُمُ المحاكمُ بالأشغال الشاقّة البدنيّة. فاحْكمْ على نفسِك بهذه الأشغال سنتين أو ثلاثًا، في سجن الجاحظ أو ابن المقفع أو غيرِهما...»[22]

ولِبَيان ضرورة التدريب على الكتابة.. يقول جاك هيفرون: «أعتقد أنّ كتُب النصائح حول الكتابة قيّمةٌ ويمكن أن تُلهم وتعطي بعض التوجيهات التي توفّر الوقت

(19) من رسائل الرافعي، ص 34، وص 134.

(20) اسمها تجربة، ص 127.

(21) Writer's Idea Workshop, p. 77-78

(22) من رسائل الرافعي، ص 54، و163.

والجهد، لكنّها لا يمكن أن تكون بديلاً عن الوقت الفعلي الذي تصرفه في الكتابة. فلا تستخدمْ هذا الكتابَ أو أيَّ كتابٍ آخرَ بديلاً عن الكتابة.»

فتعلُّم مهارات الكتابة وقراءة الكتب عن الكتابة ضروريّان، لكنّ باقي عمليّة التعلّم يكمن في الكِتابة نفسها.

ويقول بروس موفيل: «يميل الكتاب الأول لكلّ مؤلِّف لأن يكون مشتقًّا من كتبٍ قد قرأها. فاكتبْ حتى تتجاوزَ هذه المرحلة ولِتَجِدْ «صوتك». وهذا يعني أنك ستكتب أشياء لن تُنشر أو يجب أن لا تُنشر.»(23)

الصفة الخامسة: تعلُّم مهارات التأليف

التأليف مجموعة من المهارات يمكن تعلُّمُ أكثرِها عن طريق القراءة في الكتب الخاصة بالتأليف، أو عن طريق دراسة حياة المؤلِّفين، أو مُصاحبتهم. فمن أراد التأليف لا بدّ أن يكتسب مهاراته، ويُجالس الكتّاب والمهتمّين بالتأليف. يقول كانفيلد صاحب كتاب (مبادئ النجاح)(24): «مِن المهمّ أن تقضيَ الوقتَ مع الأشخاص الذين تودّ أن تصبح مثلَهم، فإذا كنتَ تريد أن تكونَ أكثر نجاحًا فعليك أن تبدأ الارتباط بالمزيد من الناجحين.» وأنا أقول: إذا أردتَ أن تكون كاتبًا ناجحًا فارتَبِط بالكتّاب الناجحين، سواءٌ معهم مباشرةً، من خلال الالتقاء بهم. أو مع كتبِهم وسِيَرِهم.

وكذلك لا بد من القراءة في كتب البيان والأدب، لأنّ البيان آلةُ التأليف. فبالإضافة إلى أنّ البيان يجذب القراءة، فهو يسهّل التأليف ويجعلُه ممتعًا.

شكليات [بروتوكولات] الكتابة

يوجد لدى كثير من الكتّاب شكليّات أو عادات ارتبطت لديهم بالكتابة، فالواحد منهم لا يستطيع أن يكتب إلا إذا تلبّس بها. فمِن الكتّاب من لا يستطيع أن يكتب إلا في مكان معيّن، ومنهم من يرتاح للكتابة بلون معيّن، أو على ورق محدّد. ومنهم من

(23) The ABCs of Writing for Children, p.7.

(24) مبادئ النجاح، ص 189.

لا يستطيع أن يكتب إلا إذا قام ببعض الأعمال، كأن يركم عددًا من الكتب حوله، أو أن يمشي قليلاً، أو يشرب الكثير من الشاي، أو نحو ذلك.

كان أبو عبيد بن سلاّم يقسم الليل أثلاثًا: يصلّي ثُلُثَهُ، وينام ثُلُثَه، ويصنّف الكتب ثُلُثَه.

وكان الطبيب المشهور ابن النفيس إذا أراد التأليف توضع له أقلام مَبْرِيّة، ويدير وجهه للجدار ويبدأ الكتابةَ إملاءً من فكره، فإذا حفِيَ القلمُ رماه وأخذ غيرَه، وكان يكتب من صدرِه من غير مراجعة[25].

ويشير كثير من الخبراء في مجال الكتابة إلى أنّ هذه الأشياء قد تكون عاملاً ميسِّرًا.

كان الفارابي لا يؤلّف إلا عند ماءٍ أو في روضة (صفحات من صبر العلماء 138).

يقول جاك كانفيلد صاحب كتاب (مبادئ النجاح)، وغيره من الكتب في تنمية الذات: «لا أستقبل مكالمات هاتفيّة يومَي الثلاثاء والخميس، فهذان اليومان مخصَّصان للكتابة.»

يقول الروائي جابريال جارسيا ماركيز: «أخصّص ساعات معيّنة للكتابة، وأكتب كلَّ يوم. أقرأ أو أكتب من الساعة السادسة صباحًا حتى الثانية ظهرًا. وإذا توقّفتُ يومًا واحدًا تصعب عليّ الكتابةُ في اليوم التالي.»[26]

وكان من عادة الرافعي رحمه الله أن لا يكتب في شهر رمضان، لكن أعلنَتْ صحيفة مشهورة عن مسابقة في كتابة القصة، فكتب قصة (عاصفة القدر)، ويقول: «ضاعت عليّ السنةُ كلُّها في مرض وكدَر، وكانت الرواية أشأمَ ما كتبْتُ بما جرّتْ عليَّ من الاضطراب، فلا بدّ من السكون إلى آخر الشهر المبارك شهرِ القرآن والعبادة.»[27]

وعلى كلّ كاتب أن يراقب نفسه ويتعرّف هذه الشكليّات أو العادات الكتابيّة فيراعيَها. إذ إنّ عدم مراعاتها قد يعيق عمليّة الكتابة أو التفكير وقد يسبّب حبْسة الكاتب.

(25) ذكر ذلك الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة في كتابه (قيمة الزمن عند العلماء).

(26) عشرون روائيًّا عالميًّا يتحدَّثون عن تجاربهم، ص 16.

(27) من رسائل الرافعي، ص 137.

الفصل الثاني

أنواع التأليف

الفصل الثاني: أنواع التأليف

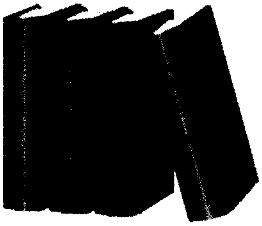

يسلك الكتّاب في طرح أفكارهم أساليب شتى. فالفكرة يمكن أن تُطرح بأشكال متعدّدة، مثل المقال والقصيدة والقصة والكتاب غير القصصي. لكن الكتاب النثري بشكل عامّ إمّا أن يكون قصصياً مثل الرواية أو المسرحيّة، أو غيرَ قصصيّ مثل كتب التأريخ، والكتب الفكرية، والكتب الأكاديميّة. وفيما يلي عرضٌ لهذه الأنواع من الكتب. مع ملاحظة أنه قد يكون الفرق بين هذه الأنواع غير واضح جداً في بعض الكتب، بحيث يمكن أن تقع في منطقة وسط بين نوعين:

الكتابة القصصية

القصة بقِسمَيْها الرواية والقصة القصيرة نوع مهمّ ومشهور من أنواع التأليف، وقد ظهر منذ زمن قديم، وكانت له أغراض شتى. وقد ازدهر في هذا العصر بشكل كبير، وظهرت له أنواع كثيرة. فهناك القصص الخياليّة، والقصص العلميّة والقصص العاطفيّة، وغير ذلك.

الفرق بين القصة وغير القصة

تعتمد القصة عادةً على إيصال المشاعر والعواطف، فهي تخاطب بالدرجة الأولى مشاعر القارئ وتعتمد على الخيال، في حين تعتمد الكتابة غير القصصيّة على الحقائق. فهي تُعنى بإيصال المعلومات إلى القارئ وقد توظّف الخيال في ذلك، وتهتمّ بمخاطبة العقل بالدرجة الأولى، وإن كانت أيضًا لا تُغفل العاطفة. ويميل كثيرٌ من الكتّاب الآن إلى استخدام بعض فنّيّات كتابة القصّة في الأعمال غير القصصيّة.

الكتب غير القصصيّة

النوع الثاني من التأليف هو التأليف غير القصصي، وهو ما كانت فكرته أو أفكاره معتمِدةً على معلومات، ويهدف إلى إيصال تلك الأفكار وبيانها للقارئ وربما إقناعه بها. ويمكن تقسيم الكتب غير القصصيّة إلى خمسة أقسام رئيسيّة:

1. السيرة

السيرة تقوم أساسًا على أحداث حياة شخص ما. والسيرة قد تكون سيرة ذاتيّة يكتبها الشخص عن نفسه، وقد تُكتب عن شخص آخر، حيًّا كان أو ميْتًا. وهذا النوع من الكتب غير القصصيّة هو أقربها للكتابة القصصيّة، إذ إنه في الحقيقة قصّة، لكنّه مرتبط بمعلومات محدّدة وحقائق لا يمكن اختلاقها. لكن بحكم اعتمادها على السرد والأحداث، هناك مجال كبير لاستخدام الأساليب الفنيّة القصصيّة فيها. وقد تدخل في هذا النوع كتب المذكِّرات، بحيث يتكلم الكاتب عن الأحداث التي عاصرها، وربّما حلَّلها وأعطى رأيه فيها.

2. الكتب التجارية (العامّة)

الكتب التجاريّة هي نوع من الكتب يدور حول فكرة أساسيّة واحدة، يتمّ بيانها وبحثها والتوسُّع فيها وطرح رأي المؤلِّف فيها. وهذا النوع من الكتب وإن طرق موضوعات علميّة أو لها تخصُّص متعمِّق، إلا أنّ لغته تكون سهلةً وتناسب القارئ غير المتخصِّص، ويمكن أن يُضمَّن أحداثًا من الخبرات الخاصّة بالمؤلِّف. فهو في الجملة نتاج خبرة المؤلِّف في بحث ذلك الموضوع، أو خبرةٍ مرَّ بها تتعلّق به. فمثلاً موضوع الإرهاب كثيرًا ما تطرحه الكتب، لا على شكل مادّة أكاديميّة، بل على شكل فكرة يتبنّاها المؤلِّف ويقدِّمها عن الإرهاب، ويطرح الأدلّة على شكل حقائق وشواهد من خبراته الخاصّة لدعم ما يقول. وهذا النوع من الكتب رائج بشكل كبير لدى دُور النشر الغربيّة، ويأتي بعد الرواية، لأنه يناسب شريحة كبيرة من القرّاء.

وهذه الكتب يمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الأول، هو الكتاب الوصفي التقريري، بمعنى أنّ الكاتب يختار ظاهرة أو موضوع بحث ويكتفي بوصفه بشكل كامل وتزويد القارئ بمعلومات متكاملة عنه، وقد يعطي بعض التوصيات أو المقترحات حوله. مثال ذلك (الإرهاب: أسبابه وعلاجه). فالكاتب في مثل هذا الكتاب سوف يعرّف الإرهاب وربما يتكلّم عن أنواعه، وأسبابه (على الأقلّ من وجهة نظره) وقد يتحدث عن آثاره، ونحو ذلك. فهو لا يزيد كثيرًا على الوصف لِما يحدث، وإن كان - بالطبع - كما يراه هو.

النوع الثاني، وهو أكثر عمقًا، بمعنى أنّه يجعل للكتاب قضيّة، أو أنّه يطرح في الكتاب سؤالاً ويجيب عنه. فالكتاب من هذا النوع لا يكتفي بالوصف، بل يفترض فرضيّة، يجتهد المؤلِّف لإثباتها، بسوْق عدد من الحجج. فبدلاً من أن يكون الكتاب بعنوان (الإرهاب: الأسباب والعلاج) قد يكون بعنوان (الفكر التكفيري والإرهاب) فهو هنا يفترض وجود علاقة بين الفكر التكفيري والإرهاب. وقد يسعى لإثبات أنّ اعتناق الفكر التكفيري سبب يؤدي للإرهاب. والعنوان ليس هو الفارق بين النوعين، فقد يكون العنوان واحدًا، لكنّ الفارق الأساسي هو الفكرة الأساسيّة في الكتاب وأسلوب تناول المعلومات.

3. الكتب الأكاديمية

الكتب الأكاديميّة هي الكتب التي تؤلَّف للدراسة المنهجيّة في الجامعات ونحوها، أو التي تكون موجَّهة فقط للمختصّين. وعادةً ما تكون مقتصرة على المعلومات والحقائق والنظريّات ومدعَّمة بنتائج الأبحاث، ونادرًا ما يكون للمؤلِّف رأي يطرحه إلا في حدود ضيّقة، ويكون مدعومًا ببحوث علميّة. وهذه عادةً ترتبط بموادّ دراسة جامعيّة إمّا على شكل مقرّرات أو مراجع للطلاب أو الباحثين. وغالبًا ما تنحو الكتب الأكاديميّة المنحى الوصفي، بحيث تُبيّن جوانب الموضوع أو العلم المقصود، دون تدخّل من الكاتب. وعادةً لا يَكتب هذه الكتب إلا خبراء متخصّصون وأساتذة الجامعة، والجزء الأهمّ فيها هو صحّة المعلومة ودقّتها.

4. كتب تنمية الذات أو بناء المهارات

هذا النوع من الكتب حديث نسبيًّا. وقد شاع في السنوات الأخيرة وكثرت الكتب المترجَمة فيه. وهذا النوع من الكتب يُكتب بأسلوب سهل ومختصَر وعلى شكل خطوات عمليّة. ويهدف إلى تزويد القارئ بتوجيهات محدّدة لأداء عمل ما، مثل تشغيل الحاسوب، أو القراءة السريعة، أو فن الإقناع أو نحو ذلك من المهارات التي يحتاجها في الغالب كلُّ شخص عاديّ. وهذا النوع من الكتب لا يهتمّ كثيرًا بالجانب النظري، ولا يقتصر على تقديم أفكار نظريّة، بل يركّز على إعطاء القارئ المهارة، أو يساعده على حلّ مشكلة. ويكفي للتأليف في هذا النوع الخبرة العمليّة، فهو لا يعتمد على البحوث العلميّة أو الجوانب النظريّة. ولذلك من غير المعتاد أن تجد في هذه الكتب توثيقًا علميًّا، وهي كذلك لا تستخدم مرجعًا علميًّا.

5. كتب المقالات

هي عبارة عن مقالات يجمعها صاحبها - أو تُجْمَع له - وتُنشر في كتاب، لكن هذا لا يدخل في التأليف الذي نتكلم عنه، لأن المقالات سبق وكُتبت مستقلّة ولمْ تُكتب خاصةً لكتَاب معيّن. لكنها أسلوب من أساليب التأليف، فقد يجتمع لدى المؤلِّف عدد من المقالات التي تتعلق بموضوع واحد، أو خواطر، ويرى أنّ فيها أفكارًا جديدة أو قيّمة، فتكوّن كتابًا جيّدًا. لكن قد يُنشئ المؤلِّف كتابًا في موضوع واحد على شكل مقالات، لكنّ كتابًا كهذا غالبًا ما يفقد العمق والترابط القويّ بين أفكار الكتاب.

هذه أهمّ أنواع الكتب، وقد يكون هناك أنواع تندرج تحت بعض الأنواع وإن لم تنطبق عليها كلُّ شروطها، مثل الموسوعات وكتب التاريخ والتراجم، ونحو ذلك.

أنواع الكتابة

تتنوّع أساليب الكتابة، وقد يبرع الكاتب بأسلوب دون آخر. وعادةً ما يقسم المؤلِّفون في أساليب الكتابةِ الكتابةَ إلى الأنواع أو الأساليب التالية:

الكتابة الوصفية

تهتمّ الكتابة الوصفيّة بوصف الموضوع المراد الكتابة عنه، شخصًا كان أو حادثةً أو مكانًا أو ظاهرة. ولا تتعدّى ذلك كثيرًا. فلا تحاول تفسير العلاقات أو ربط الأسباب بالمسبِّبات. وغالبًا ما يُستخدم هذا النوع في الكتابة الأدبية، لكنه يفقد العمق التحليلي.

الكتابة التوضيحيّة

بينما تقف الكتابة الوصفيّة على تسجيل ما تراه ظاهرًا، تهتمّ الكتابة التوضيحيّة بالتعمّق في تفسير الظاهرة أو الحدث، وبيان خلفيّاته وربما أسبابه. فالكتابة التوضيحيّة تحليليّة تهدف إلى توضيح الفكرة وشرحها والغوص في طبقاتها، وربما التوصل إلى مضامينها وليس فقط وصفها.

كتابة المقارنة

تهتمّ المقارنة ببيان أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين الموضوع المراد الكتابة عنه وبين أشياء أخرى يرى الكاتب مناسبة مقارنتها بالموضوع. وغالبًا ما تُستخدم المقارنة للتوضيح أو للإقناع.

كتابة الإقناع

«إنّ مِنَ البيانِ لَسِحرًا.» والكتابة من البيان. والسحر يفعل فعله الخفيّ في النفوس. ففي الإقناع يكون هدف الكاتب إقناع القارئ بفكرته، واستخدام الأساليب المناسِبة التي يؤمل منها أن تجعل الفكرة مقبولة عند القارئ. ويكون ذلك باستخدام الحقائق أو الشواهد والأدلّة، أو القدرة البلاغيّة.

ويندر أن يخلو كتاب جيّد من استخدام هذه الأنواع كلّها لبيان فكرته وتوضيحها ومقارنتها، أو أجزاء منها بغيرها، لإقناع القارئ بها. والكاتب الجيّد هو مَن يستخدم كلّ نوع أو أسلوب من الكتابة في مجاله المناسب. وتفاصيل هذه الأساليب موجودة في الكتب التي تهتمّ بالأساليب الأدبيّة للكتابة.

الفصل الثالث

الأفكار

الفصل الثالث: الأفكار

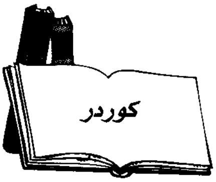

الأفكار هي دم الحياة لأي كاتب

الأفكار هي بذور الكتب، وهي لبُّها وفحواها، فلولا الأفكار، بشتّى صورها، لما صُنِّفت الكتب. والمقصود بالأفكار هنا كلّ ما يَعُنّ في الذهن، وليس المقصود الأفكار النظريّة فقط. وأعني بالأفكار هنا ما ينقدح في ذهن الكاتب حيال موضوع معيّن، فقد تكون الفكرة تقييد علم شرعي، ليس للمؤلِّف فيه إلا التصنيف والجمع، كما فعل، مثلاً محمد الأمين الشنقيطي، عندما ألّف تفسيره (أضواء البيان). فقد كانت «الفكرة» فيه أن يفسّر القرآن بالقرآن. وهي فكرة لم يُسْبَق إليها في باب التأليف، وإن كان تفسير القرآن بالقرآن معروفًا لدى العلماء.

الكتابة تبدأ بفكرة

كلّ كتاب لا بدّ أن يكون ابتدأ بفكرة. فكرة خطرت في ذهن الكاتب، فأراد أن يسجّلها ويوثّقها ويوضحها لغيره، وربما يجادل عنها. فكانت هي الباعث على التأليف. فلدى الأفكار قدرة غامضة على دفع الكاتب للكتابة، وليس بمستغرب أن يقوم الكاتب منتصف الليل ليسجّل فكرة خطرت بباله.

وقد قسَّم المتقدِّمون التأليف إلى سبعة أقسام، لا يؤلِّف عالمٌ عادةً إلا فيها:

1. شيء لم يُسبق إليه فيخترعُه، وبحيث تكون فكرته مبتكرة، كما جمع الشافعي رحمه الله مبادئ علم أصول الفقه في كتابه (الرسالة)، فقد كانت مبثوثة في كلام العلماء، من الصحابة ومَن بَعْدَهم، ويستخدمونها في استنباطهم للأحكام من النصوص، فجمعها في كتاب.
2. شيء ناقص يتمِّمه. وهذا أيضًا كثير في كتب المتقدّمين، حيث إن كثيرًا منهم

يُتوفّى قبل أن يُتمّ بعض كتبه، فيتولّى بعض أصحابه أو تلاميذه إكمال ما بدأه.

3. شيء مغلَق يشرحه. فبعض عبارات المؤلّفين غامض، خاصة إذا كان العلْم الذي يكتب فيه جديدًا، فيأتي مَن بعده ويشرح عبارته ويوضحها. وكثير من المتون أو المختصرات جرى عليه ذلك. فما من مختصَر في علم من العلوم إلا جاء مَن يشرحه من العلماء. وهناك شروح صارت موسوعات ومراجع في بابها، فمثلاً كتاب (تاج العروس) للزَّبيدي، في عشرة مجلّدات ضِخام، شرح فيه معجم (القاموس) للفيروزابادي. وقد يكون الشارح هو صاحب الكتاب الأصلي، فيضعه مختصرًا للمبتدئين، أو لمن يريد أن يحفظه، ثم يضع عليه شرحًا لبيان معانيه. ومن ذلك (نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) لابن حجر، مختصر في مصطلح الحديث، شرحه في (نزهة النظر).

4. شيء طويل يختصره دون أن يُخلّ بشيء من معانيه. وهذا أيضًا مشهور في كتب المتقدّمين. فأكثر الكتب المطوّلة قام العلماء باختصارها. بل ربما كان أكثر عمل بعض العلماء هو الاختصار. وكثير من المتقدّمين يعدُّ الاختصار تأليفًا مستقلاً. فقد اختصر الذهبي رحمه الله (منهاج السُّنّة) لابن تيمية. واختصر الإمام محمد بن عبد الوهاب (زاد المعاد) لابن القيّم. واختصر ابن الجوزي (إحياء علوم الدين) للغزالي، وجاء ابن قُدامة فاختصر المختصر. ويمكن اعتبار تفسير ابن كثير اختصارًا لتفسير ابن جرير رحمهما الله. ويختلف الهدف من الاختصار، فقد يكون الهدف التخلُّص من بعض الأخطاء، أو حذف ما لا يحتاجه أكثر الناس المستهدَفين بهذا المختصر، أو حذف ما يراه المختصِر حشوًا.

5. شيء متفرّق يجمعه. فقد تكون معلومات حول موضوعٍ ما متوفّرة، لكنها متناثرة في كتب شتّى، فيأتي المؤلّف ويجمعها في كتاب واحد. ومثال ذلك كتاب (صحيح البخاري)، فقد قصَره على الأحاديث التي بلغت عنده غاية الصحّة، وقد كانت قبله متفرّقة في كتب تجمع الصحيح وغيرَه. وقد برع ابن القيّم في ذلك وكذلك السيوطي رحمهم الله. ويندرج في ذلك كتب الموسوعات أو معاجم المصطلحات.

6. شيء مختلط يرتّبه. وهنا يكون دور المؤلِّف ترتيب مادّة علميّة موجودة في كتاب على صفة جديدة. مثل كتاب (الفتح الربّاني) قام مؤلِّفه بترتيب مُسند الإمام أحمد على الموضوعات الفقهيّة، بعدما كان مرتّبًا على أسماء الرواة من الصحابة.

7. شيء أخطأ فيه مصنِّفه فيصلحه. وهذه هي كتب الردود، أو التعقُّبات، حيث يتصدى مؤلّف لكتاب سبقه ويقوم ببيان أخطائه ومناقشتها علميًّا. وقد برع في ذلك ابن تيميّة، حيث إن كثيرًا من كتبه جاء في هذا المجال.

وقد نحا غالِب المؤلَّفات التراثيّة وما جاء على نهجها منحى الأقسام المذكورة ما عدا الأوّل منها. فأبدعوا في ذلك وألّفوا تآليف كثيرة، ولم يتركوا مجالاً من هذه المجالات إلا وكتبوا فيه.

فما لم يكن في ذهن المؤلِّف فكرة يبدأ منها، فلا يمكن أن يكون هناك كتاب. فالفكرة هي زناد نار الكتابة. وقد شكا الإمام الجويني رحمه الله، من ضمور قريحة كثير من المؤلِّفين في عصره، فقال: «ومعظم المتلقّبين بالتصنيف في هذا الزمن السخيف يكتفون بتبويب أبواب وترتيب كتاب متضمِّنة كلامَ مَن مضى وعلومَ من تصرَّم وانقضى ... وحقّ على من تتقاضاه قريحته تصنيفًا ... أن يجعل مضمون كتابه أمرًا لا يُلفى في مجموع وغرضًا لا يُصادف في تصنيف...»(28)

كيف تجد الفكرة؟

تتفاوت الكتب بتفاوت الأفكار التي تشتمل عليها. فكلّما كانت فكرة الكتاب، سواء في الموضوع أو الشكل، جديدة وإبداعية زادت قيمته، وهذا عامل أساسي في كثير من الأحيان في تخطُّف الناس لكتاب ما، أو كساد سوق كتاب آخر.

ولا يمكن أن تؤلِّف كتابًا دون وجود فكرة أو أفكار في ذهنك تريد أن تحقّقها من

(28) نهاية المطلب للجويني، (المقدِّمات) لمحقّقه الدكتور ديب.

خلال ذلك الكتاب. ولأهمية الأفكار، ولأنها هي مادّة أيّ كتاب ومصدره الأساسي، لم يكن بدّ لمن أراد التأليف أن يعتني بمصادر الأفكار، وبأساليب اقتناصها، وحفظها وتطويرها. تقول ناتالي ساروت: «أشرع في التفكير في كتاب آخر قبل أن أنتهي من الكتاب الذي بين يديّ.»[29]

ومع أنّ بعض الأفكار قد يأتي للكاتب على شكل إلهام، أو بشكل مفاجئ، إلا أنّ كثيرًا من الأفكار الجيّدة، يكون نتيجة جهد وعمل وتأمّل وتفكير متكرّر ومتعمّق. وكثيرًا ما يتمّ الحصول على الأفكار - كما يقول هيفرون - من خلال عملية تركيز انتباه فقط.

ومن المصادر المألوفة للأفكار:

1. مراقبة الناس والظواهر

التأمّل في الناس وأحوالهم والظواهر التي تحيط بهم مصدر غنيّ للأفكار، خاصة لمن وهبه الله قدرة على التأمّل والتحليل. وكثير من الظواهر التي تنتشر في المجتمع له دلالات، أو يعبّر عن مشكلات. فهي ميدان للكتابة والتأليف. فصاحب كتاب (The Tipping Point)، لاحظ من خلال تتبّعه لبعض الظواهر، أنّ الأفكار تُعدي، وأنها تنتقل بالعدوى مثل المرض، فدرَس بعض الظواهر وخرَج باستنتاجات جديرة بالتأمّل. وابن خلدون لم يكن ليكتب مقدِّمته الرائعة التي صار بها رائد علم الاجتماع، لولا أنه كان يراقب أحوال الناس وتغيُّرات المجتمعات، ولم يرضَ بالنسَق الذي سار عليه المؤرِّخون في كتب التأريخ من تسجيل الأحداث فقط (انظر بداية المقدِّمة). فالتأمل في ما يحيط بالكاتب مصدر غنيٌّ من مصادر الأفكار.

العالِم فكرة، ولكنّ الأديب فكرة وأسلوبها.

(29) عشرون روائيًّا، ص 361.

2. القراءة

من أهمِّ مصادر الأفكار في التأليف القراءة، فالكتب حدائق والأفكار ميادينها، وكثيرًا ما تنقدح في ذهن الكاتب فكرة من أخرى قرأها في كتاب. وقد تكون هذه الفكرة بيانًا لفكرة الكتاب أو متفرّعة منها أو مناقضة لها. فمؤلِّف كتاب (دور الصدفة والغباء في تغيير مجرى التاريخ) لاحظ من قراءته للتاريخ أنّ هناك عددًا من الأحداث المؤثِّرة في مجرى التاريخ حدثت بالصدفة أو نتيجةً لخطأ ما. فخرج من هذه الملاحظة كتاب جميل وإلى حدٍّ كبير فريد في بابه. وكتاب المصباح المنير[30] خرجت فكرته من خلال قراءة صاحبه لكتاب (شرح الوجيز) للإمام الرافعي، وشعوره بأهميّة وجود كتاب يشرح الألفاظ غير الواضحة في ذلك الكتاب. ولو أنّه توسَّع فيه وجعله معجمًا لغويًّا مختصرًا، لربّما اشتهر أكثر من الكتاب الأصلي. وكتب المتقدِّمين من علماء الإسلام، على الأغلب، نبعت أفكارها من خلال اهتمامهم بكتب أخرى، ويظهر هذا واضحًا في حديثهم عن أسباب تأليفهم لها.

وكثيرًا ما يكون بحث المؤلِّف في موضوعات الكتب التي يؤلّف فيها مصدرًا لأفكار جديدة. فقد تعرض له أثناء بحثه فكرة تصلح لأن تكون موضوع كتاب مستقلّ، وقد يكون هذا سببًا لكثرة تأليف المكثرين من القراءة.

3. طرح الأسئلة

طرح الأسئلة من الأساليب التي تثير الأفكار، خاصة الأسئلة مفتوحة الإجابة. فأسئلة مثل: لماذا...؟ و ماذا لو...؟ وكيف...؟ تستثير أفكارًا كامنة، وكثيرًا ما تقود إلى مواضع بحث خصبة. والبحث يعمِّق هذه الأسئلة ويفرِّعها، ما ينتج عنه موضوعات لكتب جيِّدة.

لا يحلّ لي أن أضيّع ساعة من عمري، حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره.

(30) واسمه الكامل: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

4. تأمُّل المشكلات والأمور المخالفة للنسق.. والأمور التي تسير على نسق

تأمُّل المشكلات والبحث عن أسبابها وحلولها، وكذلك تأمُّل الظواهر أو الأحداث التي تسير في نسق واحد أو متشابه، ومحاولةُ فهم العلاقات فيما بينها مصدرٌ ثرٍ للأفكار، وكذلك تأمُّل الأمور التي تسير على غير نسق ومحاولةُ استكشاف مصادر التنافر بينها . مثال ذلك كتاب (لماذا يفشل المديرون الأذكياء؟) فقد كانت فكرته الأساسيّة تَتَبُّع أسباب فشل بعض الشركات برغم كون مديريها متميّزين.

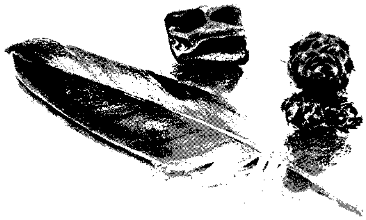

ولكي تحصل على الأفكار من هذه الطريقة ابتعِد عن الصور النمطيّة و(الكليشيهات) التي لا تمثِّل بيئة لنموّ الأفكار وتَولُّدها، مثل (الشرق متخلّف والغرب متقدّم)، و(ما ترك الأوّل للآخِر شيئا)، و(المفكّرون العظماء هم من يأتون بالأفكار الجيِّدة). فهذه تعميمات ليست علميّة، وربما ما يدحضها أكثر مما يسندها. وفي الغالب لا يَعتمد عليها ويتمسّك بها إلا العقل المنغلِق، وهي تمنع العقل عن ملاحظة غير العادي (غير النّسَقي)، وهو غالبًا منبت الأفكار الجيدة.

5. تتبُّع حاجة علميّة للناس ومحاولة الإتيان بفكرة تلبّيها

من التتبُّع الدقيق لِما يحتاجه الناس من كتب تُمِدّهم بمعلومات يحتاجونها، أو تزوّدهم بكتب تفيدهم في عملهم أو في بيوتهم وعلاقاتهم أو في حياتهم عمومًا، سواء بشكل عام أو في أوقات محدّدة، يمكن تحديد مواطن لم تُغَطَّ. فهذه الأماكن بدايات أفكار لِكُتُبٍ يحتاجها الناس. ومثال على ذلك (صحيح البخاري)، فالأحاديث في عصر الإمام البخاري رحمه الله، كانت موجودة في الكتب وتُسمع من أفواه الرواة، لكنه لاحظ أنه لا يوجد كتاب مخصَّص للأحاديث الصحيحة، مع حاجة الناس الماسّة لِمثل هذا الكتاب. فكانت فكرةُ صحيح البخاري أصحَّ الكتب بعد كتاب الله.

6. النظر في المسكوت عنه

المسكوت عنه، لسبب من الأسباب، غالبًا ما يكون مظنّةً لأفكار جميلة ورائدة. لكن يجب تناول هذه الميادين بحذر وحكمة، فكثير من جوانب المسكوت عنه يمكن الحديث عنه بأسلوب غير مباشر، ولا يسبِّب حرجًا ثقافيًّا.

7. النظر بشكل مختلف

من أهمّ العوامل المساعِدة في الحصول على الأفكار للكتب الإبداع، والخروج عن النمطية في النظر للأشياء، والنظر إليها بشكل مختلف، أو من زوايا غير معهودة. مثل كتابٍ عن التدريس من وجهة نظرِ طالبٍ لا معلّم.

فإذا أعيَتْكَ الحِيَل في أن تحصل على فكرة لكتاب، ففكِّر في أن يكون الجديد في كتابك أسلوب الطرح والعرض أو المعالجة. فهناك الكثير من الموضوعات - خاصّة في الكتب العربية - يمكن طرحه بأشكال مختلفة، وستجد إقبالاً كبيرًا من القرّاء.

فمثلاً التأليف (كيف تؤلِّف كتابًا) يمكن أن يُطرَق من جوانب متعدّدة: (التأليف للأطفال)، و(تأليف القصة) و(تأليف السيرة الذاتيّة) أو (خمسون سببًا لتجعل كتابك مشوِّقًا للقارئ)، ونحو ذلك.

> وكما يقول مارسيل بروست: «ليس الاكتشاف الوصول إلى أرض جديدة.. بل النظر بأعيُن جديدة.»

الكتابة

يرى كثير من الكتّاب أنّ مجرّد الجلوس للكتابة يجلب الأفكار. فبعض المبتدئين ينتظر أن تنزل عليه الأفكار حتى يجلس للكتابة عنها. وغالبًا لا يحدث هذا. بل الجلوس للكتابة كثيرًا ما يساعد العقل على الكشف عن أفكار أو مبادئ أفكار كانت موجودة لديه. ولذلك يوصي كثير من المؤلّفين بأن تكون الكتابة عادةً، بحيث يجلس الكاتب ولو لم يكن في ذهنه فكرة محدّدة، بل يكتب عن أي شيء ولو كان موضوعه (ما الذي يمنعني من الكتابة؟).

الشجاعة في طرح الأفكار

الفكرة تنفر من العقل الجبان، فكم من فكرة هجرت صاحبها وانتقلت لغيره لأنه لم يجد شجاعة أدبية ليطرح رأيه وينافح عنه. ومن لم يتوقَّع سهام النّقد ويتصدَّ لها ويصبر عليها، يبعد عن أن يكون كاتبًا ناجحًا. فحاجة الكاتب إلى الجرأة في كثير من الأحيان أكبر من حاجته للمهارة في التأليف. وقد يكون سبب شهرة كثير من الكتاب ليس جودة أفكارهم بقدر ما هو جرأتهم في طرح تلك الأفكار.

ومما يجدر التنبيه عليه أنّ الفكرة لا يلزم أن تكون فكرة كبيرة وغير عاديّة، فكثير من الكتّاب يكتب عن أفكار صغيرة لكنّها مهمّة لفئة من الناس. ... وكثيرًا ما تكون الأفكار موجودة لدينا وقريبة منا لكنها تحتاج إلى تأمّل وكشف. فقد ذكر أحد الكتّاب المشهورين أنه أراد أن يبحث عن فكرة لكتاب، فَراقَهُ موضوعٌ في بيروت فشدَّ الرِّحال إلى بيروت لكنّه قبل وصوله إليها نشبت الحرب الإسرائيلية اللبنانية، فعاد ولم يحقّق ما سافر لأجله. وعند وصوله لمدينته وهو يتصفّح الجريدة المحلِّية لفت انتباهه خبر عن نقل الأعضاء البشريّة وزرعِها الذي اشتهر به مستشفى مدينته على مستوى العالم. وتَبيَّن له أنّ هذا الموضوع لم يَنل نصيبه من الاهتمام. فكانت فكرة لكتابَيْن عن الموضوع. فقد كان يبحث عن الأفكار ويسافر في طلبها بينما هي بجوار بيته. بل لو ذهبنا مع جوليا كامرون في كتابها الممتع عن الكتابة (The Right to Write) لوجدنا أنّ كلّ شيء حولنا يستحقّ الكتابة عنه، وأنه ما على الكاتب فقط إلا أن يصغي للأفكار ويراقب ويطلق العنان لعمليّة الكتابة، وسيجد أنه يكتب وبكثرة.

كيف تطوّر الفكرة ؟

لا تتصوّر أنّ الفكرة تأتيك دائمًا مكتملة وجاهزة. بل غالبًا ما تأتي مبادئ فكرة، أو جزءًا من فكرة، أو فكرة صغيرة تحتاج إلى تمحيص وتوسيع لكي تناسب أن تكون فكرة كتاب. فالناقد والمتأمّل يكاد يجد فكرة في كل شيء، لكنّ الأفكار التي تنضج وتستمرّ وتستحقّ أن يستمرّ معها المؤلِّف ليست بالكثيرة.

في القديم كان العلماء يؤلِّفون كتب الحديث فيكتبون بالإسناد (سلسلة الرواة) ما يصل لهم دون فصل بين الصحيح والضعيف. فطرح أحد العلماء في درسه فكرة جمع الحديث الصحيح وإفراده في كتاب مستقل. هذه الفكرة تلقّاها الإمام البخاري رحمه الله. لكنه طوّرها بحيث أصبحت فكرة كتاب فريد في بابه وضمن له التميز إلى وقتنا الحاضر. فقد زاد عليها:

1. وضَعَ شروطًا شديدة (معايير) لصحّة الحديث، لم يشترطْها أحد قبله ولا بعده.
2. رتَّب الكتاب بحيث أصبح كتابَ حديثٍ وكتابَ فقهٍ دقيق.
3. ردّ ضمنيًّا وبشكل لبق على كثير من التيّارات الفكريّة التي كانت في عصره ورأى أنها تخالف السنّة، مثل أهل الرأي والمُرجئة والمتكلّمين.

فخرج كتابه (صحيح البخاري) فريدًا في نوعه واستحقّ عليه لقب (أمير المؤمنين في الحديث).

كيف تختبر الفكرة؟

ليست كل فكرة تخطر في ذهن الكاتب تصلح لأن تكون موضوعًا لكتاب. ولكي تعرف الفكرة المناسبة من غير المناسبة يجب أن تختبرها. وهناك عدد من الطرق التي يمكن من خلالها اختبار الفكرة قبل البدء بالتّخطيط لكتابة كتاب حولها. وفيما يلي بعض الطرق التي ربما تساعد على ذلك:

1. اكتب فيها مقالاً.

من الأشياء التي ينصح بها خبراء التأليف لاختبار الفكرة أن تكتب فيها مقالاً. فالكتابة توضِح الفكرة، وتجعلك تتفحّص جميع أبعادها ومتعلّقاتها. وقد تفيد كتابة هذا المقال حول الفكرة في بيان الصيغة المناسبة لإخراجها، فقد تكون فكرة جيِّدة، لكنها لا تبلغ أن تكون في كتاب، بل يكفي فيها المقال، أو يمكن أن تكون موضوعًا لقصّة قصيرة.

2. ناقِشها مع من يهتمّ بآرائك.

من المفيد لاختبار الأفكار مناقشتها مع الآخرين، وخاصة مَن ترى أنه يهتم بأفكارك ورأيك. فهذه المناقشة ستكشف لك عن أبعاد الفكرة لدى الناس وموقفهم منها، وفهمهم لها. وقد تكون الفكرة مرحلة لفكرة أخرى أكبر أو أكثر نضجًا.

3. تَجاهَلْها .. وانظر هل تستمرّ معك؟

أحيانًا قد تخطر لك خاطرة، فتعجبك، فتظنّها فكرة كاملة، لكنها ليست كذلك. من الأساليب التي تساعد على التفريق بين الخاطرة والفكرة أن تتجاهل ما يعنّ على ذهنك مدّةً من الزمن، وتنظر: هل لا زالت «الفكرة» تتسوّر عليك فِكْرَك وتقلقك وتظهر لك بين حين وآخر، وتربط نفسها بما يمرّ بك من خبرات أو بما تتأمّل فيه من أفكار؟ فإن كانت كذلك، فالغالب أنها فكرة قيّمة وتستحقّ أن تعيد الارتباط بها وتتعامل معها بجديّة أكثر. إنّ بعض الأفكار يمتلك شعور الكاتب ويقلقه ويسكن تفكيره، لدرجة يشعر معها أنّ الكتاب في ذهنه، فما الذي منعه من الكتابة؟!

4. ألقِ محاضرة في موضوع الفكرة

من الأساليب أيضًا أن تلقي محاضرة في موضوع الفكرة، فإمّا أن ينتهيَ أمرُها عند ذلك، وتكونَ قد قمتَ بما يجب عليك تجاهها، وإمّا أن تتعمّق هذه الفكرةُ نتيجةً للمحاضرة وتصبحَ أكثر إلحاحًا في ذهنك، وقد يشجّعك مَن يستمع للمحاضرة على الاستمرار فيها، فعندئذ يزداد احتمال مناسبتها لأن تكون موضوعًا لكتاب.

الكتّاب يختلفون في نقلهم للفكرة من خلال الكتابة. وقد قسمهم الشيخ الأديب علي الطنطاوي إلى ثلاثة أقسام في كتابه (فكر ومباحث)، أسوقُها بتصرّف، وزيادات بين قوسين:

الكتّاب ثلاثة:

الأول: كاتب همُّه أن ينقل الفكرة التي في رأسه إلى رأس القارئ بأهون السُّبُل، (وأرشق عبارة)، فيتخيّر من الألفاظ أقربها دلالةً على فكرته، ويَصوغ الجُمل بشكل واضح ومريح للقارئ. وهذا أسلوب ابن المقفّع.

الثاني: كاتب يحافظ على الفكرة ويريد نقلها للقارئ، لكنه يختار لها الألفاظ الجميلة والعبارات الأخّاذة ليُحَمِّلها فكرتَه. فهو لا يكتفي بوضوح الأسلوب، بل يبحث عن جمالها الأدبي والفنّي. وهذه طريقة الجاحظ وابن العميد. (وكذلك الرافعي).

الثالث: كاتب يصرف همّه إلى الجمال الأدبي والفنّي اللّفظي، ولو ضاعت الفكرة (أو غمضت) أو تقطّعت أوصالها. وهذا أسلوب القاضي الفاضل، وهو شرّ الأساليب. (وهذا يغلب على الكتابة الأدبيّة).

علامات عدم مناسبة الفكرة[31]

هناك علامات يمكن من خلالها الحكم على الفكرة بأنها غير مناسبة أو غير ناضجة، فيكون من المستحسن للكاتب أن يتركها أو يؤجِّلها لوقت آخر. لكنّها مؤشِّرات فقط، ولا يمكن القطع من خلالها. ومن هذه العلامات:

1. أنك لا تستطيع أن تكتب عنها.

أحيانًا لا يستطيع الكاتب الكتابة عن الفكرة، رغم كثرة محاولاته. هذا مؤشِّر إلى أنّ الفكرة غير مناسبة أو لم تنضج بعد، أو أنها بداية فكرة أو مرحلة لفكرة أكثر تطوّرًا. فمن المناسب أن يؤجِّلها المؤلِّف لحين نضوجها.

2. أن يكون لها بدايات كثيرة.

من المؤشِّرات على عدم مناسبة الفكرة أن يبدأ الكاتب عند إرادة الكتابة عن الفكرة بداية جديدة كلَّ مرّة، ولا يستقرّ على شيء محدَّد. بحيث إنّه كلّما أراد الكاتب

(31) The Writer's Idea Workshop, p 109

الكتابة عن الفكرة كانت له بداية مختلفة، ما يعني أنّ الفكرة ليست ثابتة، أو لم تتضح بالشكل المطلوب. فهذا مؤشّر على أن الفكرة لم تستقرّ في الذهن ولم تتشكّل معالمها بشكل جيّد.

3. ألا تستجيب لأي صيغة

من المؤشّرات أيضًا أن لا تستجيب الفكرة لنوع الكتابة الذي يقوم به الكاتب، فلا تصلح لأن تكون مقالاً، ولا موضوعًا لقصة قصيرة أو رواية، ولا تبلغ أن تكون كتابًا.

4. أنّ مراجعة المسوّدات لا تفيد

فالفكرة الجيِّدة تتطوّر وتتشعّب مع تكرار النظر في المسوَّدات الأولى للكتابة. فإذا كان الكاتب لا يستطيع أن يضيف على المسوَّدة أو ينقِّحها، بحيث يدفع بالفكرة لمستوًى أعمق، فقد يكون هذا مؤشِّرًا على عدم مناسبة الفكرة لأن تكون كتابًا، ووجوب الانصراف عنها.

5. أن يذهب الحماس تجاه الفكرة

أحيانًا يذهب الحماس الذي كان لدى الكاتب تجاه الفكرة. فبعض الأفكار يثير قلقًا لدى الكاتب لكنه يزول بمجرد انشغاله عنها أو بمجرد تسطير بعض الأسطر عنها. وبالتالي يتوقّف شعور الكاتب بانتماء تلك الفكرة له وارتباطه بها. فلا تعود تمثِّل له شيئًا.

كيف تتعامل مع الفكرة العصيّة؟

إذا واجهتْك فكرة واختبرتَها ولم تنجح في شيء مما سبق من الاختبارات، أو ظهر عليها شيء من سمات عدم المناسبة، فقد يكون مفيدًا اتِّباع أحد الأساليب التالية معها، حتى لا تخسرها تمامًا. فما يُدريك لعلّها فكرة عظيمة لكنْ لم يَحِنْ أوانُها بعد:

1. طوِّرها

كثير من الأفكار يأتيك بشكل خام، خاصّة الأفكار التي تناسب الكتب. فثمّة أفكار تحتاج إلى أن يُضمّ لها مقدِّمات، ويُضاف إليها أفكار أخرى متعلِّقة بها لكي تناسب الكتاب. وقد يأتي المؤلِّف بفكرة لكن لا يمكنه أن يكتب فيها كتابًا كاملاً. لذا يمكنه أن يضيف إليها الأفكار التالية لكي تجعلها مناسِبة للكتاب:

1. مقدِّمات تهيّئ القارئ للفكرة وتزوِّده بخلفيّة لها وتضعه في السّياق الذي خرجَت منه الفكرة والذي لا تعمل إلا فيه.
2. أفكار تتعلّق بتطبيقات الفكرة في الواقع، أو آثارها، أو علاقتها بغيرها من الظواهر أو الأفكار.

في أثناء هذه العمليّة تنبَّه لئلا تكون الفكرة مرحليّة، بمعنى أنها مقدّمة لفكرة أعمق وأوسع، تناسب بشكل جيِّد أن تكون كتابًا. فَرُبَّ فكرة كانت مفتاحًا لأخرى. وقد يفيد في هذا البحثُ الذي يقوم به المؤلِّف قبل الشروع في الكتابة (وسيأتي الحديث عنه).

وُجِّه سؤال لابن القيّم رحمه الله من شخص ابتُلِيَ بمعصية، ويريد الخلاص منها. وكان يمكنه أن يجيب عنه في نصف صفحة، لو أنه نظر إليه على أنه استفتاء عاديّ. لكنه بقريحته السيّالة وعلمه العميق رأى في السؤال أفكارًا كثيرة وتداعيات متشعّبة، فأجاب عنه في كتاب! فقد طوّر الفكرة لتصبح كتابًا رائعًا ورائدًا في علم النفس وطبّ القلوب، لم يؤلَّف مثله، جمع فيه فوائد وقواعد في أمراض القلب والنّفس وعلاجها، وهو كتاب (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي).

2. ضَعْها في ملفّ لتعود إليها (ملفّ الأفكار)

إذا لم ينفع معها التطوير فاحتفِظ بها (وكلِّ ما عملْتَه بشأنها) في ملفّ خاصّ بالأفكار، فقد تكون الفكرة جيِّدة، لكن أنت لم تتهيّأ لها، فيأتي وقت مناسب تتعجّب كيف لم تتنبّه لجوانب جيّدة فيها. أو قد تكون فكرة عميقة تحتاج منك إلى مقدِّمات علميّة لم تتوفّر فيك بعد. ومن المفيد أن تراجع هذا الملفّ من وقت لآخر.

3. أرسِلْها لصديق

قد يكون إرسال الفكرة لصديق لك أمرًا مفيدًا، فقد يزوّدك ببعض الملاحظات المفيدة، وأقلّ ما فيه أنه يُبعدها عن ذهنك قليلاً وأنت مطمئنٌ عليها. وقد تكون مناسِبة لصديقك أكثر منك.

هل تتحدّث عن كتبك للآخرين؟

يختلف المؤلِّفون، ومَن كتب في فنّ التأليف، في هذه النقطة. فهل من الأفضل للكاتب أن يتحدث للآخرين عن مشروعاته الكتابيّة؟ أم أنّ الأفضل أن يجعلها طيَّ الكتمان؟ فمن المؤلِّفين من يحرص على عدم الحديث عن مشروعات كتبه. ومن هؤلاء الأديب الرافعي. فهو يقول[32]: «... إنّ من عادتي متى بدأتُ عملاً أن أكتُمه حتى أُقارب الفراغ منه...» وأصحاب هذا التّوجّه يبرِّرون عملهم بأشياء مثل:

- **أنّ ذلك سبب لسرقة الفكرة.**
- **أنّ ذلك يسبّب الفتور عن البدء في العمل حين تمّ الحديث عنها.**
- **أنّ ذلك قد يجرّ إلى نقد الفكرة ممّا يسبّب تثبيط الهمّة، وتنفير الأفكار.**

لكنّ آخرين يرون أن الحديث عن المشروعات مفيد، حيث إنه:

- **يساعد على تطوير الفكرة.**
- **يدفع المؤلِّف للعمل، بحيث يجد نفسه مُلزمًا بإكمال ما أخبر الآخرين به.**
- **يجعل المؤلِّف يستفيد من نقد الآخرين.**

فابن حجر رحمه الله كان يؤلِّف كتابه (فتح الباري) قطعة قطعة، وكُلّما انتهى من قطعة عرضها على بعض العلماء وتدارسها معهم وصحَّحها بناءً على ملاحظاتهم.

(32) من رسائل الرافعي، ص 97.

وهذا بالتأكيد يختلف من مؤلِّف إلى آخر، فقد يكون أمرًا مرتبطًا بشخصيّة المؤلِّف أو بظروف خاصة بالعمل نفسه. كما أنه يعتمد أيضًا على نوعيّة الناس الذين يكشف لهم المؤلِّف خبر مؤلَّفاته. فهناك فرق بين مَن يُطلع صديقًا حميمًا أو ناقدًا ناصحًا وبين من يُطلع شخصًا عابرًا لا تربطه به صلة وثيقة.

ومن الجدير التنبيه عليه أنّ قوانين حقوق الملكية لا تشمل الأفكار، فالأفكار ليس لها حقوق ملكية، ما لم تُكتب فتكون الملكيّة للشكل - المقال أو الكتاب.

وممّا ينبغي التنبّه له أن لا يؤلِّف الكاتب في موضوع لم يتقنه أو يدرسه دراسة جيِّدة، خاصة إذا كان موضوعًا يتعلّق بقضايا دينية. فإنّ أمور الدنيا الخطأ فيها سهل، والاجتهاد فيها محتمَل. وليس الأمر كذلك في الأمور الدينيّة، فالكلام في القضايا الدينيّة دون تأهّلٍ قولٌ على الله بغير علْم، وهو من كبائر الذنوب، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وهو داخلٌ في الكلام فيما لا يعلمه الإنسان، وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقد يدخل في الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.»

الفصل الرابع

البحث

الفصـــل الرابع: البحث

الكتاب الجيّد يعتمد على عملية بحث جيّدة، تبعده عن السّطحية والتّكرار وتجعله ثريًّا. فعندما تتبلور الفكرة في الذهن، لا ينطلق الكاتب عادةً ليكتب الكتاب، بل من الضروري أن يقوم ببحث الموضوع في المراجع التي تكلّمتْ عنه سواء من الكتب أو المجلات، أو ربما زيارة بعض المواقع المرتبطة به، خاصة إذا كان الموضوع مرتبطًا بحادثة تاريخيّة، أو بالالتقاء ببعض المختصّين في الموضوع أو ذوي العلاقة به. ويُعدّ الإنترنت الآن مرجعًا مفيدًا للمؤلِّفين، بحيث يمكن، وبسهولة، الحصول على معلومات عن الموضوع الذي يريد الكتابة فيه، وذلك إما بالبحث في المواقع ذات العلاقة، أو بالرجوع إلى قواعد البيانات المتخصّصة.

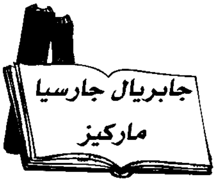

«الفترة التي تلي العثور على الفكرة وتسبق الشروع في الكتابة هي فترة البحث والتنقيب، كأي باحث أو دارس أو ناقد، خاصة إذا كان زمن الرواية في الماضي.» ويضيف أنه يقضي الآن ساعتين كل يوم في تصفح الموسوعة البريطانية، وكان في السابق يخصص ساعات أطول لهذا الغرض[33].

بعد استقرار الكاتب على فكرته، وتأكُّده من أنها تصلح لتكون فكرة كتاب، تأتي مرحلة البحث لتدعيم الفكرة وتوضيحها والتوسّع فيها.

مراحل البحث

ويكون البحث على مرحلتين:

المرحلة الأولى:

البحث في الكتب المؤلَّفة في الموضوع ومصادر المعلومات الأخرى. والبحث

---

(33) عشرون روائيًّا عالميًّا يتحدّثون عن تجاربهم، ص 47.

هنا يغلب عليه طابع العموم. والهدف منه تكوين تصوّر عن الكتب الموجودة في السوق، حتى لا يكون كتابك تكرارًا لما هو موجود، أو، وهو الأسوأ، لا يصل لجودة الموجود.

ومن الطبيعي أن تستفيد من الكتب الجيّدة، لكن حتى الكتب غير الجيِّدة ستستفيد منها أحيانًا. فعادةً، في مرحلة البحث، عندما أقرأ كتابًا غير جيِّد يشجّعني ذلك على المضيّ في تأليف ما أنا بصدده.

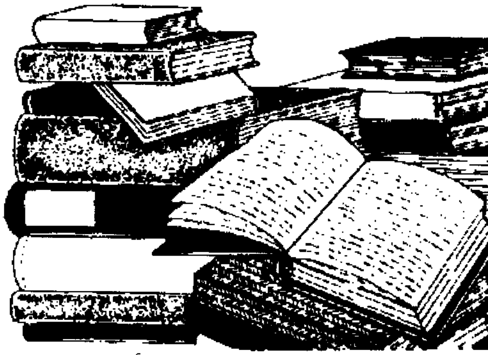

وأذكر أنني في فترة عملية البحث لكتاب (البحث النوعي) كانت الكتب العربية نادرة في هذا المجال، ووجدت كتابًا في الموضوع لمؤلِّف عربي، فاطّلعت على فِهرس الكتاب فوجدته استوعب الموضوع، فاشتريته، رغم غلاء ثمنه مقارنة بغيره من الكتب وبالنظر لرداءة طباعته. وقد عزمت على ترك التأليف في هذا الموضوع، لكن لمّا قرأته وجدته ركيك الأسلوب ضحل المعلومات، وكأنه اعتمد على ترجمات من الإنترنت. فدفعني ذلك للمضيّ في إكمال كتابي، لأني مقتنع بأنه سيكون أفضل بكثير من هذا الكتاب، رغم أن مؤلّفه كتب على غلافه أنه أستاذ دكتور وعميد لكليّة علميّة.

المرحلة الثانية:

البحث في المراجع ذات العلاقة للحصول على معلومات وشواهد وقصص تفيد في الكتابة عن الفكرة، وتدعم آراءك فيها. فالمؤلِّف يحتاج عادة لمعلومات تكون خلفيّة للموضوع بحيث تكون كالمدخل له، وتهيئ القارئ لفكرته، ثم هو يحتاج أيضًا إلى تفصيلات توضح الفكرة وتساعد المؤلِّف على بناء قضيّته، وتوضيحها للقارئ. وقد يحتاج أيضًا لمعلومات تتعلّق بتطبيقات الفكرة أو آثارها.

ويجب أن لا يقتصر البحث فقط على الكتب أو الموادّ المكتوبة، بل قد يكون من الضروريّ أن يشمل الالتقاء بذوي الخبرة في الموضوع أو مَن لهم علاقة به، وربما زيارة بعض الأماكن المرتبطة به.

وعلى المؤلِّف أن لا يُهمل المعلومات الدقيقة التي يجدها أثناء البحث، بحجّة أنها غير مهمّة أو أنها غير ذات دلالة، بل يسجّل كلّ ما يمرّ به، وسيرى أنّ المعلومة الصغيرة ينضمّ لها معلومات، وقد تكون هي ما يميّز كتابه أو أسلوبه في الكتابة. فالمعلومات العامّة التي تبرز لكلّ باحث، الكلّ يعرفها والكلّ يستطيع الوصول لها، لكنّ دقائق المعلومات إذا اقْتُنِصَتْ هي التي تلفت الانتباه وتجلب التميّز للمؤلِّف وكتابه.

عادةً ما يلجأ كثير من المؤلِّفين إلى وضع مخطَّط للكتاب، قبل أن يبدأ البحث، ثم في أثناء البحث يبدأ بجمع المعلومات وتسجيل النُّقول أمام كل نقطة في مخطَّطه مع ذكر المرجع والصفحة. وأحيانًا يتمّ تسجيل النُّقول أو المعلومات على بطاقات أو على الحاسوب مع توثيقها ثم بعد ذلك تُفهرَس وتُصنَّف.

تنظيم المعلومات أثناء البحث

ويمكن عمل هذا عن طريق استخدام ملفّ كبير ما يسهِّل إدخال الأوراق وإخراجها. كما يمكن أن يتمّ ذلك عن طريق الحاسوب، بحيث تفتح مجلّدًا جديدًا وتسمّيه باسم العمل أو الكتاب الذي تعمل عليه، وتضع داخل هذا المجلّد المستنَدات الأساسيّة في هذا العمل. و تشتمل هذه المستندات عادةً على:

1. مستنَد الكتاب الرئيسي، وهو مسوَّدة الكتاب.
2. مستنَد المراجع، وفيه تضع اسم كلّ مرجع نقلْتَ منه.
3. مستنَد النُّقول، وفيه تضع النُّقول والإحالات التي جمعْتَها أثناء البحث.
4. مستنَد المحذوفات، وفيه تضع كلّ ما تحذفه أثناء المراجعة والتنقيح. (وهذا المستنَد يسهّل عليك عمليّة الحذف أثناء المراجعة، بحيث تتيقّن أنّ ما تحذفه سيبقى ويمكنك أن تعود له في أيّ لحظة عند الحاجة).

ويمكن أن يكون لك طريقتك الخاصة في تنظيم المستندات. فمن المؤلِّفين من يجعل مستندًا لكلّ فصل من الكتاب.

ولا تنسَ أن تضع نُسَخًا احتياطيّة على الحاسوب الذي تستخدمه وتحفظ نسخة أخرى في مكان آخر، فعطَب ملفّات الحاسوب شيء متوقَّع في كلّ لحظة.

ويعمد بعض المؤلِّفين بعد جمع النُّقول والشواهد إلى تصنيفها وتكرار قراءتها حتى يستوعبَها، ثم بعد ذلك يبدأ الكتابة.

بعد عملية البحث من المرجَّح أنك ستقوم بشيء من التّعديل على مخطّط الكتاب التفصيلي، وهذا جيِّد. فهدفٌ من أهداف البحث هو استيعاب الموضوعات التي تتعلّق بالفكرة وتفصيلاتها. ولذلك يرجئ بعض المؤلِّفين وضْع مخطَّط الكتاب إلى ما بعد مرحلة البحث.

ومن الأشياء التي تقع في هذه المرحلة، وتُضيع الوقت وتُتعب المؤلِّف عدم تسجيل المرجع أو تسجيل معلومات ناقصة عنه اعتمادًا على الذاكرة. فكثيرًا ما ينسى المؤلِّف مع مرور الوقت أو مع كثرة النُّقول من أين أخذ أحد النُّقول خاصةً إذا كان من مقال - وليس من كتاب - فيضيع بين عدد كبير من المقالات والبحوث. فاحرص على تسجيل المعلومات كاملة عن المرجع من أول مرة. (وفي النسخ الحديثة من برنامج (وورد) خاصيّة (مراجع)، حيث يتمّ تسجيل المعلومات كاملة عن المرجع، ما يسهِّل استحضارها في أيّ مستند، ويمكّن الكاتب من بناء قائمة مراجعه بطريقة سهلة).

لا تعتمد في بحثك على الكتب التي تؤيِّد فكرتك فقط، فهذا خطأ، بل ابحث في الكتب التي تعارضها أيضًا، فهذا يجعل كتابك أكثر عمقًا وثراءً. وحتى إذا وجدت شيئًا يتعارض مع فكرتك فأشِر له وتعرَّض له بالمناقشة، ولو وجدْتَ ما يتعارض مع بعض جزئيّات فكرتك، ولم تجد له جوابًا فيمكنك أن تشير له، وتذكرَ أنه واجهتْكَ صعوبة في التعامل معه. فهذا يعطيك مصداقيّة عند القارئ. إنّ عدم ذكرك لما يعارض فكرتَك قد يفسِّره القارئ على أنه إمّا هروب من مناقشة الاعتراضات (وفي هذا سطحيّة في الطرح)، وإمّا أنّه من عدم الاطّلاع عليه (وفي هذا سطحية في البحث). وممّن تميّز في هذا الجانب الإمام ابن القيّم رحمه الله، فهو في كثير من كتبه يستوعب حجج المخالفين له ويوردها مفصّلةً وكأنه يسوقها على ألسنتهم، ثم يقوم بمناقشتها والردّ عليها. وهذا من الإنصاف في النقد والنقاش ومِن العمق في التأليف.

هل تستخدم كلّ المعلومات؟

من المؤكّد أنه ليس كلّ ما ستحصل عليه من البحث ستستخدمه في كتابك. فهذا غير ممكن، وربما غير مستحسن خاصة من كاتب خبير، لأن ذلك سيجعل الكتاب يتضخّم ويتشعّب. قد لا تستخدم إلا جزءًا يسيرًا، لكنّ الجزء الذي لا تستخدمه لن يضيع عليك، بل هو الذي يجعلك متمكّنًا من الموضوع، وهو الذي يعطيك الثقة عند طرح فكرتك وعرضها ومناقشتها. فما تطّلع عليه ولا تورده في الكتاب سيكتشفه القارئ من خلال إحساسه بتملُّكك زِمام الموضوع وعمقِك في طرح الأفكار.

ففي أثناء إعدادي لهذا الكتاب بحثتُ في أكثر من عشرين كتابًا في موضوع الكتابة (انظر المراجع) وقرأتُها كلَّها تقريبًا، وبحثتُ في كتب السِّيَر الذاتيّة للمؤلِّفين والمفكِّرين، ورجعتُ أيضًا إلى الكثير من المقالات في المجلاّت المتخصِّصة في الكتابة. وكنتُ أثناء القراءة أضع خطوطًا تحت العبارات المهمّة والتي أرى أنها أفكار جيّدة، وبعد الانتهاء من الكتاب أو مجموعة من الكتب، أعود وأنقل تلك النُّقول المهمّة وأدوّنها في مستنَد منفصل في برنامج (وورد) تحت عنوان (نُقولٌ من كتُب الكتابة) وأكتب اسم الكتاب ورقم الصفحة، ثم أصنِّفها. وأرجع إلى مستنَد النُّقول بين فترة وأخرى، أثناء مراجعتي للكتاب، فأجد متعة في قراءة النُّقول وأستفيد منها في توسيع أفكار الكتاب.

حدّثَ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، عن نفسه أيام طلبه للعلم فقال إنه جاء لشيخه فقرأ عليه من كتاب فشرحه له لكنه لم يُشفِ ما في نفسه، ولم تتَّضح له المسألة، وكان الوقت ظهرًا، فجمع الشيخ الشنقيطي الكتب والمراجع فطالعها حتى العصر، ثم استمرّ حتى المغرب، فأوقد له خادمُه نارًا واستمرّ على المطالعة وهو يتناول الشاي الأخضر لطرد النوم، والخادم يتعاهد النار حتى انبثق الفجر وارتفع النهار، لم يقم إلا للصلاة ولتناول الطعام. حتى وضحت له المسألة[34].

(34) أضواء البيان، 1/31.

لم تنشر كارلين كوين[35] غير رواية (عبر مرآة سوداء) وهي رواية تاريخيّة. وأخذت عنها مقدَّمًا مبلغًا ماليًّا كبيرًا نسبيًّا، وهو 350 ألف دولار، وهو عادةً ما لا يُدفع للرواية الأولى. والسبب في ذلك أنّ الناشر شدَّته التفاصيل الدقيقة التي حَوتها الرواية، لدرجة أنّه عرضها على أكبر المؤرِّخين الذين يعرفهم، فراجعها ولم يعثر فيها على خطأ تأريخي واحد، ولو في أدقّ التفاصيل. وعندما سُئلتْ المؤلِّفة عن سرّ ذلك، قالت بأنها مكثت خمس سنوات تؤلِّف الرواية، وحرصت على قضاء معظم هذه المدة في مكتبة الجامعة تقرأ تاريخ حياة الشخصيّات من جميع النواحي، لدرجة أنها كانت تطالع كتب الطهي وقواعد السلوك (الإتيكيت) والأغاني الشعبيّة والخرافات التي في ذلك العصر. وقد قرأتْ في ذلك ثلاثمائة كتاب، وسجَّلَت نقولاً كثيرة. بل إنها في أحد المواقف في الرواية كانت تحكي حدثًا عند الفجر في أحد أيام عام 1721م فقامت بمطالعة الصحف في تلك الفترة لتتعرّف أحوال الطقس في تلك الأيام، ليكون المشهد صادقًا. بل إنها زارت مواقع القصة من القصور والمزارع والشوارع، لتكتب عنها كما رأتها.

متى تعرف أنك انتهيت من البحث؟

تعرف ذلك بعد أن تبدأ المعلومات تتكرَّر عليك من مراجع مختلفة، بمعنى أنك لا ترى معلومات جوهرية جديدة، أو لا تجد جديدًا عن الموضوع. عندها يمكن أن تتوقف وتبدأ الكتابة. وربما تحتاج إلى العودة للبحث في جزئيّات من الكتاب للتوسّع فيها. ويتبيّن لك هذا من خلال مراجعة مسوَّدات الكتاب.

كذلك من مؤشرات انتهاء البحث أن يكون لديك إجابة عن كل سؤال حول موضوعك. لكن من المؤكد أنك بعد إنهاء مرحلة البحث والبدء بالكتابة ستجد بعض الفجوات التي ستحتاج معها للعودة للبحث والإجابة عن بعض الأسئلة.

انتبِه، قد يكون رجوعك للبحث بعد شعورك بالانتهاء منه نوعًا من المماطلة في

(35) محسن محمد، إنهم يقتلون الأدباء. مكتبة غريّب، دون تاريخ، ص 33.

الكتابة، أو استجابة لحبسة الكاتب. إذا شعرتَ أنّ عمليّة البحث انتهت، وأنه ليس هناك أسئلة تحتاج إلى أجوبة، فقاوِم الرغبة في الاستمرار في البحث، واستمرّ في الكتابة. فالبحث كثيرًا ما يستولي على نفس الباحث والعالِم، بحيث ينسى نفسه، ويصعب عليه التوقف. كان الشيخ الألباني رحمه الله أثناء بحثه في المكتبة يصعد السُّلَّم للوصول لبعض الكتب ويمكث الساعات الطوال يطالع وهو واقف، دون أن يشعر بالتعب. وربما أُتِيَ بالطعام ووُضِع عنده فلا يلتفت إليه ولا يشعر به ويستمرّ في بحثه.

فعمليّة البحث مرحلة مهمّة في التأليف، تجعل الكتاب عميقًا في طرحه، وافر المعلومات، وتجعل المؤلّف واثقًا من نفسه ومن كتابته، ومُرْضِيًا لقارئه.

الفصل الخامس

كتابة المسوّدة الأولى

الفصل الخامس: كتابة المسوَّدة الأولى

بعد عملية البحث يكون المؤلِّف مستعداً للبدء بالكتابة. لكن قبل الشروع بالكتابة الفعليّة من المفيد أن يؤدّي المؤلِّف صلاة الاستخارة (وقد تُؤدَّى في أي وقت منذ ورود فكرة التأليف).

وصلاة الاستخارة ثابتة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعلّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلِّمنا السورةَ من القرآن، يقول: إذا هَمَّ أحدُكم بالأمر فلْيَرْكَعْ ركعتين مِن غيرِ الفريضةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ اللهُمَّ إني أستخيرُكَ بِعِلْمِك وأسْتَقْدِرُك بقُدْرَتِك ، وأسألُكَ مِن فضلِكَ العظيم ، فإنّكَ تقدرُ ولا أقدِر، وتعلَم ولا أعلم، وأنتَ علاّمُ الغُيوب، اللهمَّ إنْ كُنْتَ تَعلَم أنَّ هذا الأمرَ خَيْرٌ لي في ديني ومَعاشي وعاقبَةِ أمري، أو قال عاجلِ أمري وآجلِه، فاقْدُرْه لي ويَسِّرْه لي ثم بارِكْ لي فيه ، وإنْ كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومَعاشي وعاقِبَةِ أمري، أو قال: في عاجِلِ أمري وآجِلِه، فاصْرِفْه عنّي واصرِفْني عنه ، واقْدُرْ ليَ الخيرَ حيثُ كان، ثم أرْضِني. ويسمِّي حاجته).

ففي صلاة الاستخارة عدد من الفوائد:

- **تحصيل الأجر باتِّباع السنَّة**
- **استمداد العون والتوفيق من الله**
- **تحسين النيّة**
- **المحافظة على الوقت، بأن لا يبدأ الإنسانُ بعمل ثم ينصرف عنه.**

وحتى لو انصرفْتَ عنه فثِقْ أنَّ ما عمِلْتَه فيه كان فيه خيرٌ لك، لو تأمَّلْتَه، وأنَّ تَرْكَكَ إكمالَهُ فيه خيرٌ لك أيضًا.

فإذا استخرْتَ وعزَمْتَ فتوَكَّل على الله.

مخطّط الكتاب

تبدأ عمليّة الكتابة، عادةً، بوضع مخطَّط الكتاب. ومخطَّط الكتاب هو عناصره الأساسيّة مرتَّبة. وهو عادةً يوضَع بعد تَبَلْوُر الفكرة، وقبل البدء في عمليّة البحث. إلا أنّه من المعتاد ومن المُستحسَن أيضًا أن يراجع المؤلِّف مخطَّطَ الكتاب بعد عمليّة البحث، لأنه بالتأكيد ستظهر له أشياء جديدة تتعلّق بالموضوع أو بترتيب العناصر.

ومخطَّط الكتاب في النهاية هو الذي سيكون جدولَ المحتويات. والمخطَّط التفصيلي الجيِّد والمنظَّم يساعد على الكتابة، وعلى عمليّة المراجعة والتنقيح.

وعادة ما تتمّ عمليّة المخطّط بطريقتين:

الأولى: الخطوط العريضة (العناوين والعناوين الفرعية)

وذلك بأن تضع العنوان الرئيسي، وتحته أسماء الأقسام، وتحت كلّ قسم موضوعاته الفرعيّة، وهكذا.

مرحلة البحث

- لماذا البحث؟
- أين أبحث؟
- متى ينتهي البحث؟
- قاوِم الرغبة في العودة للبحث

الثانية: الخرائط البصريّة أو الذهنيّة

النوع الثاني من التخطيط هو الخرائط البصرية، وذلك بكتابة الموضوع الأساسي للكتاب أو للفصل في دائرةٍ في وسط الصفحة، ثم رسمِ خطوط متفرِّعة منه بأسماء الموضوعات، وتوضع أيضًا في دوائر تتفرَّع إلى موضوعاتها الفرعيّة. (انظر الشكل)

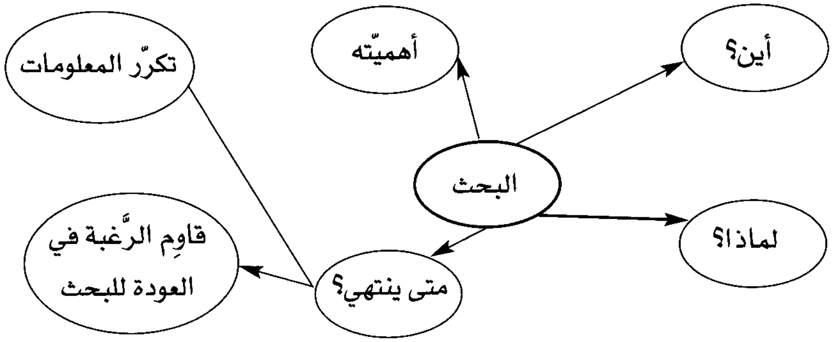

دلّت دراسات علم أعصاب المخ والدّراسات النّفسيّة على أنّ للمخّ شقَّين؛ أيمن وأيسر، وأنّ كلَّ قسم يقوم بعمله بطريقة مختلفة. ولذلك فمَن يسيطر عليه أحدُ هذين الشقَّين فإنّ أسلوبَه في العمل سيأخذ طابعَ ذلك الشِّقّ.

فمن كان يستخدم شقَّ مخِّه الأيسر فله أسلوبٌ خاصٌّ في التفكير والعمل. فصاحب الشقِّ الأيسر يميل إلى أن يعتمد في تفكيره على الكتابة، وليس على الصور، وينهج المنهَجَ الخطّيَّ في التفكير والعمل، فلا يحبُّ أن يدخلَ في عملٍ قبل أن ينهيَ ما قبله. ويحبّ التنظيمَ وترتيبَ الأشياء، وهو حسّاس من جهة مرور الوقت، فيشعر به. (ولا يعني هذا بالضرورة أنه محافظ على وقته). وهذا النوع من الناس قد يناسبه أكثر الأسلوب الأول في تخطيط الكتاب (الخطوط العريضة، أو العناوين والعناوين الفرعيّة).

ومَن يستخدم الشِّقّ الأيمن على النقيض منه. فتفكيره متوازٍ، بمعنى أنه يمكن أن يفكِّر أو يعمل في مشروعات متعدِّدة في وقت واحد، ولو أدّى ذلك لعدم إنهاء بعض الأعمال (وهذا ما يحدث معه كثيرًا!). كما أنه قد ينسى نفسه فلا يشعر بالوقت. ولذلك فالمواعيد النهائيّة البعيدة لا تفيده كثيرًا، فهو لا يُنجز عملَه إلا في آخر ساعة. كما أنّ مخَّه يستخدم الصور، فهو كثيرًا ما يحبّ الرسم، ويميل للتأمّل. وهذا النوع من الناس قد يناسبه أكثر أسلوب (الخرائط الذهنيّة أو البصريّة).

لكن تجب الإشارة إلى أنّ هذا التقسيم لا يعني أنّ كلّ نوع من الناس لا يمكن أن يستفيد من أسلوب النوع الآخر. بل قد يساعد استخدامُ أسلوب النوع الآخر في تنظيم الأفكار لصاحب الشقّ الأيمن، وفي توليد مزيد من الأفكار لصاحب الشقّ الأيسر.

صعوبة البداية

هل جرّبت أن تجلس إلى مكتبك وبين يديك ورقة بيضاء، أو أمام شاشة الحاسوب وتريد أن تكتب.. لكن تفرّ منك الكلمات، ولا تقدر على شيء منها؟ أنا متأكّد أنك تهزّ رأسك بالموافقة. أسوق لك البشرى! لستَ الوحيد في ذلك، فأكثر المؤلّفين الناجحين يمرّ بهذه الحالة، وهي من الأمور التي لا يخلو كتاب أو مقالة في فنّ التأليف من الإشارة إليها، ووصفها بأنها «أمر طبيعي». إذًا، ما هو الحلّ؟ الحلّ بسيط جدًّا: هو أنْ تكتب!

بعد أن تكون محَّصْتَ الفكرة وجلَوْتها، وقمْتَ بعمليّة البحث، على الأغلب أنَّك الآن جاهز للكتابة، فاقسِرْ نفسَك على الكتابة. لا حلّ لمشكلة البداية إلا أن تبدأ الكتابة، وحسب.

ابدأ على أيّ حال. فالبداية كابوس لكثير من الكتّاب، لكن سرعان ما يزول، وتبدأ الأمور بالعودة إلى طبيعتها، بل تجد أنّ الأفكار بدأت تتوارد، وربما تتّسع الفكرة بأفضل ممّا كانت عليه قبل أن تكتب.

كثيرًا ما يكون سبب هذا العجز أنّ المؤلف يصرّ على البداية من مكان معيّن، الفصل الأول، مثلاً، أو من المقدِّمة، وهذا أسوأ! تشير بعض كتب التأليف إلى أنه من المناسب أن يبدأ المؤلّف بالفصل الأساسي في الكتاب، والذي يحتوي على الفكرة الأساسيّة التي أقلقت الكاتب وبعثَتْه على الكتابة. ثم بعد ذلك ينتقل منه إلى فصول أخرى. وليس من الجيّد البدء بالمقدِّمة إذا كان ذلك عسيرًا، بل من المناسب ترْكها ولو إلى أن تكون آخر ما يُكتب.

المسوَّدة الأوّليّة

انس أنك تكتب، فقط تحدّث للورق.

ما تكتبه في هذه المرحلة هو المسوَّدة الأوليّة، بمعنى أنها لن تكون كاملة، ولن

تكون النسخة التي تتصوّرها عندما فكّرت في الكتابة عن الموضوع. وغالبًا ما تكون النسخة الأوليّة مفكّكة، وربما محبِطة للكاتب، إذا قارنَها بالفكرة التي كانت تتوقّد في ذهنه وتدفعه للكتابة. ولذلك يوصي خبراء التأليف بأن لا يلتفت المؤلِّف في النسخة الأولى لِشيء، لا لِتَناسُب الأفكار ولا للأخطاء اللغوية. بل يكتب كلَّ ما يخطر بباله في موضوعه، وضمن المخطَّط الذي وضعه (ولو في ذهنه).

اكتُبْ ولا تُراجِع

الخطأ الذي يقع فيه بعض المؤلِّفين هو أنه يقوم بالمراجعة أثناء كتابة المسوَّدة الأوَّليّة، وهذا يعيق تدفُّق الأفكار، ويشغله عن إتمام عمله، وقد يسبِّب (حبسة الكاتب). يجب أن تُقنِعَ نفسك بحقيقة أجمعَ عليها كلُّ الكتّاب: (أنّ التأليف ليس كتابة المسوّدة الأوليّة، بل هو إعادة الكتابة والتنقيح). الشافعي على علْمِه وعقلِه ذُكِر عنه أنه راجع (الرسالة) أربعين مرّة، وفي كل مرّة كان يغيّر. فكتابه لم يكن النسخة الأولى، بل بالتأكيد النسخة الأربعين. أشكُّ أنّ كثيرًا من المؤلِّفين يراجع أربعين مرّة!

ابن خلدون كتب المقدّمة ثلاثَ مرّات، وفي كلّ مرّة كانت مختلفة عن الأخرى.

تقول دايان ريجان، مؤلِّفة أكثر من أربعين كتابًا للأطفال: إنه من غير الممكن أن تعرف «حقيقة» موضوع الكتاب قبل انتهاء المسوّدة الأوّليّة، وبمجرّد ابتدائك بإضافة طبقات العمق واكتشاف العلاقات يبدأ موضوع الكتاب الحقيقي (true theme) بالظهور، وغالبًا ما يكون مفاجئًا لك [36].

اكتُبْ ولا تنقُد

من الأخطاء أيضًا في هذه المرحلة أنَّ الكاتب يقوم بالحكم على أفكاره أو جُمله ونقْدها وتقويمها في مرحلة كتابةِ المسوّدة الأوّليّة، وهذا أيضًا يحدّ من قدرته على الكتابة. ولقد كنت لسنوات أقع في هذا الخطأ ويضيع عليّ وقتٌ كثير جرّاء ذلك، لكن

(36) ABC of Writing, p. 33

بعدما صرت أردِّد (أكتُبها..إذا لم تَصلُح أغيِّرُها فيما بعد) وفَّرتُ الكثيرَ من الوقت. يجب أن تذكِّر نفسَك دائمًا أن هذه هي النسخة الأوّليّة (مسوَّدة) وغالبًا لن يطَّلع عليها أحد غيرك. أنت الآن لا تكتب الكتابَ، أنت الآن تضع مسوَّدَتَه الأولى التي تحوي فقط المعالِمَ الأساسيَّة له. ومعنى هذا أنه سيمرّ بمراحل كثيرة من المراجعة والتنقيح، ما سيمكِّنك من استبعاد أيّة فكرة أو جملة يثبت لديك بعد التمحيص عدم مناسبتها.

حبسة الكاتب

لا يكاد يوجد كاتب إلا ولديه عدد من الكتب لم يكتمل، يقول المحرِّر والمؤلِّف وخبير التأليف المشهور سول ستاين: لم أقابل كاتبًا في أمريكا إلا ولديه مئات من الصفحات من الروايات غير المكتملة في أدراجه أو على الأقلِّ في ذهنه[37].

الحبسة من المشكلات التي لا يمكن أن يخلو من الحديث عنها كتاب في فن التأليف. لكن الجميل في الأمر أنها - مثل الكابوس الآخر - لا ينجو منها كاتب، مهما علا كعبه في الكتابة. الأديب المبرّد صاحب كتاب (الكامل في الأدب)، والذي ألّف أكثر من أربعين مصنَّفًا، يقول عن نفسه: «ولربما احتجت إلى اعتذار من فلْتةٍ أو التماس حاجة فأجعل المعنى الذي أقصده نُصْبَ عيني، ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بيدٍ ولا لسان. ولقد بلغني أنَّ عُبَيْد الله بن سليمان ذكرني بخير، فحاولت أن أكتب إليه رُقْعَةً أشكره فيها ... فأتعبتُ نفسي يومًا في ذلك، فلم أقدر على ما أرتضيه منها، وكنت أحاول الإفصاح عمّا في ضميري فينصرف لساني إلى غيره.»[38] فهو يريد الكتابة والإفصاح عما في نفسه فلا تنقاد له العبارة. وكان الفرزدق الشاعر المشهور يقول: تمرُّ عليّ الساعة وقلْعُ ضِرْسٍ من أضراسي أهْوَنُ عليَّ مِن عملِ بيتٍ من الشِّعر. ومكث الرافعي شهرًا لا يكتب شيئًا.

> إذا كان عدم القدرة على البدء بالكتابة كابوسًا للمؤلِّفين، فحبسة الكاتب كابوس آخر.

(37) بتصرّف، عن Stine on Writing، من المقدّمة.

(38) كنوز الأجداد لمحمد كرد علي.

حبسة الكاتب هي حالة مؤقّتة تمرّ بالكاتب لا يستطيع أن يكتب فيها شيئًا في الموضوع الذي بين يديه، لفترةٍ عادةً لا تكون طويلة. وهي لا علاقة لها بقدرة الكاتب ولا بخبرته، بل يمرّ بها كل الكتّاب تقريبًا. لكنَّ الفرق أنّ الكاتب الخبير يمتلك أساليب أكثر للتعامل معها وتجاوُزِها، فلا تصدُّه طويلاً عن الكتابة، بينما قد يترك الكاتب قليلُ الخبرة أو المبتدئ الكتابةَ بسببها، وقد تنشأ منها قناعةٌ لديه بعدم قدرتِه على الكتابة. وكان يمرّ على الرافعي، على علوّ كعبه في البيان، الشهرُ لا يكتب شيئًا[39].

قيل عن الحريري صاحب (المقامات) إنه لمّا كتب مقاماته الأولى، لم يصدّقه جماعة من أدباء بغداد، وقالوا إنه انتحلها، وإنّها لأديب مغربيٍّ تُوفِّي بالبصرة. فاستدعاه الوزير، وسأله عن صناعته، فقال له: أنا رجل منشئ. فاقترح عليه الوزير امتحانًا له إنشاءَ رسالةٍ في واقعةٍ حدَّدها له. فانفرد في ناحيةٍ من الديوان، ومعه قلمُه وأوراقُه، ومكث مدَّةً لم يستطعْ أن يكتب شيئًا! فقام وهو خجلان. ولمّا رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخرى وأرسلها للوزير واعتذر عن عيِّه وحصره في الديوان بما اعتراه من المهابة[40].

أسباب حبسة الكاتب

حبسة الكاتب كما ذكرت أمر طبيعي في الكتابة. وقد تعود أسبابها إلى شيء من الأمور التالية:

الحكم على المسوّدة الأولى

عندما يطلق المؤلِّف العنان للناقد الداخلي لديه لنقد المسوَّدة الأولى قد يحدّ هذا من تدفُّق الأفكار لديه، ويجعله يُحجم عن الكتابة، لأنّ المسوّدة الأولى في الغالب لا تكون ناضجة ولا مكتملة التفاصيل، بل يتوارد فيها أفكار ناقصة وغير

(39) من رسائل الرافعي، ص 100.

(40) كنوز الأجداد، ص 270.

مرتّبة. فالنظر إليها على أنها المنتَج النهائي لما سيكتبه الكاتب قد يصيبه بالإحباط ويوقف تفكيره. لذلك من الضروريّ أن يوقف الكاتب الجانبَ النقديّ من عقله، ويمنعه من التدخّل، ويستمرّ في الكتابة.

عدم معرفة مراحل الكتابة، بحيث يستعجل الكاتب الانتهاء من الكتابة.

إنّ عدم إدراك الكاتب للمراحل التي تمرّ بها عمليّة التأليف قد يسبِّب حبسة الكاتب. فعندما لا يبدأ بتحديد الفكرة وتفريعها، ويتبعها بمرحلة البحث، ثم ينتقل لمرحلة كتابة المسوَّدة الأوّليّة، بل ينتقل مباشرةً للكتابة النهائيّة سيجد نفسه في مواضع تنقصه الأفكار ولا يستطيع إكمال الأفكار التي لديه، فيتوقّف. والسبب في ذلك أنه لم يعطِ الفكرة حقَّها من التفكير والتطوير والبحث اللازم لها لتنضج، بل استعجل الكتابة قبل أوانها.

متلازمة العشب أكثر اخضراراً

عادة عندما تكون واقفًا في مكان في أرض معشّبة، وترمي بطرفك إلى مكان آخر بعيد عنه، فإنّ ذلك المكان الآخر يبدو لك أكثرَ اخضرارًا وأوفرَ عشبًا من المكان الذي أنت فيه، حتى لو كان في الحقيقة مساويًا له. وهذه الحالة يقع فيها الناس عادة، في كلّ أمر، فما ليس لديهم غالبًا يكون عندهم أفضل مما لديهم. يحدث شيء مشابه لهذا في الكتابة، فالكاتب عندما يبدأ الكتابة في موضوع، يجد نفسه في كثير من الأحيان مدفوعًا للكتابة في موضوع آخر، وعندما يعمل في كتاب يجد نفسه تدفعه لإكمال مشروع تأليفي آخر. ففَوْرَما تتلكّأ الكلمات في الخروج ينتقل الكاتب إلى مشروع آخر ويرى أنه سيتمكن من الكتابة فيه. وقد تُحدِّثه نفسه بأنَّه سيكون أنشط لو ترك الكتابة وأخذ في القراءة أو البحث.

القراءة هي الوقود الأساسي للكتابة.

نقص القراءة بشكل عامّ

نقص القراءة بشكل عامّ يضعف قدرة الكاتب على توليد الأفكار أو صياغتها

في كلمات والتوسّع فيها. ولم أقرأ لمؤلِّف في فن التأليف إلا ويؤكد على أنّ القراءة مهمّة للكتابة. وهي مهمّة بالذات لتجاوز حبسة الكاتب، بحيث تعطيه خيارات لغويّة وفكريّة أوسع ليَسلُكها.

وبالتأكيد، ليس كلّ قارئ جيِّد كاتبًا جيِّدًا، لكنّ القراءة من المقوِّمات الأساسيّة للكتابة، فهي لا تضمن جودة الكتابة لوحدها. فالكتابة تحتاج، مع هذا، إلى مِرانٍ وقدرة تخيّليّة إبداعيّة.

نقص البحث في الموضوع أو عدم التّعمّق فيه

قد يكون من أسباب حبسة الكاتب أنّ المؤلِّف لم يبحث موضوعه بشكل متعمّق، ولم يستجلِه من جميع جوانبه، فيصل إلى مرحلة يحتاج فيها إلى مزيد من الأفكار أو المعلومات حول الموضوع. وقد حدث هذا أثناء عملي في هذا الكتاب. فقد كان اعتمادي الكلّي في بداية الأمر على المراجع الأجنبيّة، فوجدت أثناء مراجعة المسوَّدات أنّ الكتاب أخذ نمطًا واحدًا، بحيث فقد كثيرٌ من الأفكار عمقَه، فقضيت مدةً أبحث في الكتب العربية وأنقّب عن كلام المؤلِّفين والأدباء حول الكتابة أو بعض قصصهم في مجال التأليف. فوجدت شيئًا كثيرًا متناثرًا أثرى الكتاب ودعم أفكاره.

التّقليديّة في التفكير

قد يكون سبب حبسة الكاتب حصر المؤلِّف نفسه في نمط تفكيري واحد، أو الانحباس في نفق فكريّ واحد والبعد عن الإبداع في التفكير، أو التقيّد بأسلوب كتابة واحد تعوّده الكاتب. ولذا على الكاتب أن يبحث عن أساليب تفكير وبحث وكتابة جديدة، ويطوّر نفسه في هذا المجال.

المثاليّة

قد يكون سبب توقّف الكاتب عن الكتابة المبالغة في تطلّب الكمال، بحيث لا يرضى عمّا كتب، بل يشعر دائمًا أنّ ما كتبه ناقص أو بحاجة لإتمام. وحدٌّ معقول من

هذا الإحساس طبيعيٌ لدى كلّ كاتب، بحيث لا يرضى عما كَتب. لكن يجب على الكاتب ألا ينجرف مع هذا الشعور، بل يتعوّد التوقّف عن الكتابة عند بلوغ العمل أقصى ما يمكنه من الجودة حتى لو بدا فيه بعضُ النقص الذي لا يسلم منه كاتب.

طبيعة الإنسان

من طبيعة الإنسان أن تمرّ به حالات لا يستطيع فيها أن يوجِد أفكارًا أو أن يعبِّر عمّا لديه من أفكار. فيجب أن نقرّ بهذا ولا ننزعج منه. فهذه طبيعة البشر.

تقول المؤلّفة جوانا كراوس: «بعد وفاة والدي مررتُ بفترة كئيبة، وتوقّفتُ عن الكتابة، ما أقلقني. فسألتُ (صديقة): ماذا أفعل؟ فدعتني إلى زيارة حديقة زهورها. (فذهبتُ) فوجدتُ الحديقة جرداء، فنظرتُ إلى صديقتي بتعجّب وقلتُ: لا أرى شيئًا! فقالت: ولكن خلال أشهر قليلة ستكون مزدحمة بالألوان، فالأرض تحتاج فترة عدم إنبات (راحة)، وكذلك نحن.»(41)

تأمّل في وضعك أنت، فكثيرًا ما تكون الأسباب خاصّة بالكاتب، حاوِل أن تحدّد ما الذي يمنعك من الكتابة. ويمكن أن تضع الأسباب السابقة ـ وما قد تضيفه إليها ـ في قائمة، وكلّما مرّت بك حبسة الكاتب تتأمّل في وضعك وتختار من تلك القائمة الأسباب التي تمنعك من الكتابة، بحيث يمكن أن تحدّد أهمّ الأسباب التي تمرّ بك وبالتالي تستطيع معالجتها أو تجنّبها.

خمس عشرة طريقة للتغلّب على حبسة الكاتب

حيث إن حبسة الكاتب أمر معتاد لكلّ كاتب، فقد اجتهدَتْ كتب التأليف في طرح أساليب للتغلّب عليها. قم بتجريب بعضها، وحاوِل ابتكار أساليب أخرى خاصة بك.

وفيما يلي عدد من الأساليب قد تكون مفيدة في الخروج من حبسة الكاتب:

(41) The ABC of Writing for Children p.18

1. الالتجاء إلى الله، ودعاؤه وطلب التوفيق منه.

فالله سبحانه هو الذي بيده القلوب يصرّفها كيف يشاء، وهو الذي يشرح الصدور، ويُلهم العلم والفهم والصواب. وهو الذي يمدّ بالقوة والتوفيق والعوْن، خاصة إذا كان الكاتب محتسبًا الأجر ويرجو انتفاع الآخرين ممّا يكتب، وسبقت منه الاستخارة. فإذا صعب عليك أمر فالجأ إلى الله واسأله العلم والفهم وأكثِر من قول «لا حول ولا قـوّة إلا بالله» وقول «اللهمّ لا سهلَ إلا ما جعلْتَه سهلاً وأنتَ إذا شئْتَ تجعلُ الحَزْنَ سهْلاً»، فلم أرَ أكثرَ فائدةً منها في تسهيل الأمور. كان ابن تيمية رحمه الله إذا استغلقَتْ عليه مسألة بدأ بالاستغفار، وأكثَرَ من السجود والدعاء حتى يفتح الله عليه. وكان ممّا يدعو به «يا مُفَهِّمَ سليمان فَهِّمْني.» أخذ ذلك من قول الله تعالى فيما قاله عن اختلاف داود وسليمان عليهما السلام ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٨] فقال الله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩] .

2. اترك المؤلّف الذي تعمل فيه لمدّة قصيرة.

فقد يكون التوقّف بسبب الملل الطبيعي. فترْك الكتابة لفترة قصيرة كفيل بطرد الملل. وقد كان الفرزدق إذا صعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف منفردًا في الشّعاب وبين الجبال، حتى ينقادَ له الكلام. وقال الرافعي في رسائله عن كتابه الأحزان: «...وسأعود هذا الأسبوع إن شاء الله إلى كتاب الأحزان، وقد ظهر لي أنّ هذه المدّة التي تركْتُ الكتابة فيها كانت بركةً عظيمة على هذا الكتاب، فكأنّ الأقدار هي تملي.»(42)

3. انتقل إلى موضع آخر في المؤلّف نفسه.

ففي حال الاحتباس في مكان من الكتاب قد يكون من المفيد الانتقال للكتابة في مكان آخر منه، أو إكمال ما سبق وتوقّفْتَ فيه. فمن الأشياء المعيقة للكتابة

(42) من رسائل الرافعي، ص 101.

الإصرار على إكمال موضع معيّن. لكن لا يكن ذلك إلا بعد أن تقسُر نفسك على الكتابة وتعجز.

4. اقرأ.. اقرأ

من الأساليب المفيدة للتغلّب على حبسة الكاتب القراءة. فالقراءة تعيد تحريك الذهن، وتساعد على إراحته، وإخراجه من بعض الأوضاع التي قد ينحشر فيها. وليس بالضرورة أن تقرأ في موضوع الكتاب نفسه، اقرأ في أيّ شيء تراه محبّبًا لك. اقرأ ولو كتابًا غير جيّد في موضوع كتابك، فهذا سيحفِّزك على الرجوع لإكمال كتابك بحجة أنك تستطيع أن تكتب أفضل منه! يقول الكاتب الأمريكي ستيفن كنج في كتابه عن الكتابة: «تكمن أهميّة القراءة في أنها توجِد راحة وإلفًا مع عملية الكتابة... فالقراءة المستمرّة تجرّك إلى مكان (أو حالة عقليّة) حيث تستطيع أن تكتب بشغف ودون وعي.»[43] وتقول صاحبة كتاب Writing Alone (الكتابة على انفراد) ص 54: «احتبستُ تمامًا في وسط روايتي الأولى لسنتين، ثم صادف أن ذهبت لأسبوع وقرأتُ بلا مقاطعة المائة وخمسين صفحة التي أنهيتُها، ثم نمتُ، وقد نجحت. ففي اليوم الثالث استيقظتُ والمخطوطة على صدري ونهاية الرواية في ذهني.»

5. اكتب أيّ شيء

استمِرَّ في الكتابة، واكتب أيّ شيء حتى لو لم ترضَ عنه. دائمًا هناك وقت للمراجعة (أو الحذف إذا لزم الأمر!). المهمّ أن يتجاوز عقلك هذه العقبة وأن لا تحسّ أنك تنهزم أمامها بسهولة. وقد يسمّى هذا (الكتابة الحرّة)، فيجبر الكاتب نفسه على كتابة أيّ شيء يأتي لذهنه، دون النظر لجودته أو سلامة اللغة أو جودة الأسلوب.

(43) King on Writing, p. 171

يقول ستيف تشاندلر في كتابه (قصة حياتك) ص 215: «الحل لحبسة الكاتب هو أن تكتب بأيّ شكل كان. اكتب أيّ كلام فارغ، اكتب فصلاً رديئًا. فقط عليك أن تكتب وتكتب وتكتب. إنه لأمرٌ مثير للدهشة ذلك الذي يحدث للكتّاب عندما يحاولون فعل ذلك. فحبسة الكاتب تنتهي، والكلمات الآن تنساب بسهولة من الروح إلى العقل ومنه إلى اليدين اللّتين تنقلانه إلى لوحة المفاتيح ...»

6. غيِّر مكان كتابتك

كثيرًا ما يكون تغيير المكان الحسّي مفيدًا في الانطلاق في الكتابة. فإذا كنتَ تكتب في مكتبك، فجرِّب الكتابة في غرفة نومك، أو في الحديقة. كثيرًا ما يفيد هذا الأسلوب ولو مؤقّتًا.

7. غيِّر وقت كتابتك

كذلك تغيير وقت الكتابة قد يأتي بنتيجة جيِّدة، فإذا كنتَ متعودًا الكتابة في المساء، فجرِّب في الصباح، وإذا كنتَ معتادًا أن تكتب قبل النوم، فجرِّب أن تكتب بعد أن تقوم من النوم.

8. غيِّر أسلوب كتابتك.

فإن كنتَ تكتب على الحاسوب اكتب بالقلم، وإن كنتَ تكتب بالقلم، جرِّب الكتابة بالحاسوب، أو بلون مختلف.

9. اقرأ ما كتَبْتَه بصوتٍ مسموع، أو اطلب من أحد أن يقرأه عليك

المعتاد أنّ الكاتب ينطلق للكتابة من «قراءة» ما كتبه، فهو يريد أن يتمّم ما قرأه، لكنّ كثيرًا من المؤلفين يفتح له «سماع» ما كتبه أبواب تفكير مختلفة، ويحفّز عقله على الاستمرار. وقد يكون سماعه بصوت مختلف عن صوته الذي اعتاده أكثر تحفيزًا.

10. قم بمزيد من البحث في الموضوع الذي توقفتَ فيه.

11. ألزِم نفسكَ بكتابة، ولو صفحة واحدة، في الموضوع.

12. اجلِس واستمرّ وجاهِدْ نفسك لتكتب، وستكتب.

ومن الأشياء التي جرّبتُها:

- **تغيير خلفيّة المستند الذي أعمل عليه في الحاسوب، أو تغيير التنسيق ونوع الخط.**
- **زيارة المكتبات التجارية والاطّلاع على عناوين الكتب الجديدة وتصفّحها، وبخاصة ما له علاقة بالموضوع.**
- **طباعة ما كتبتُه وقراءتُه من الورق، والإضافة إليه بخطّ اليد.**

من المهمّ أن لا يسارع المؤلِّف إلى الحكم على أدنى صعوبة تعترضه في الكتابة بأنها حبسة الكاتب، فيلجأ فورًا إلى أحد الأساليب السابقة. لا تلجأ إليها إلا إذا تأكّدتَ من ضرورة ذلك، بمعنى أنك حاولتَ الكتابة فعلاً وبجدّ لكن لم تنجح. ومع اكتساب الخبرة يستطيع المؤلِّف أن يميّز بين حبسة الكاتب وبين الملل العادي، أو التوقّف القصير، أو الرغبة في «الهروب» من الكتابة بالتأجيل.

تقول الكاتبة ديبي دونكان: «أعرف نوعين من حبسة الكاتب:

الأول: ... وكان يحدث لي في سنواتي الأولى وكان بسبب نقص الثقة. وهذا يحدث عندما يكون الناقد الداخلي نشيطًا. وقد عملت لي مقولة (تساعد على تجاوز هذا الأمر) أقول لنفسي: «هي فقط نسخة أوّليّة.. فقط نسخة أوّليّة.»

الثاني: عندما أعلَق في بعض المواضع، حيث لا تسير بعض الأمور بشكل جيِّد. ففي هذه الحالة أنتقل عادةً إلى عمل كتابيّ آخر لفترة وجيزة، فدائمًا لديّ أعمال كتابيّة متعدّدة في الوقت نفسه ، وعندما أعود أجِد المشكلة، لكن يكون الوقت هو

المناسب لحلّ المشكلة. ... وعندما أصاب بحبسة الكاتب أجلس على حاسوبي وأكتب ولو قليلاً، ولو كتبتُ فقط فقرة أو فقرتين خلال اليوم.»

بنهاية هذه المرحلة سيكون لديك، على الأرجح، كتاب غير متماسك الأجزاء، فيه نقص في مواضع وزيادات غير مناسبة في مواضع أخرى.

وقد تُفاجأ وربما تُحبط في هذه المرحلة! كيف أنّ تلك الفكرة الباهرة تحوّلت إلى هذا المسخ! لا تقلق فهذا أمر طبيعي. وهذا هو الناتج المتوقَّع من مرحلة الكتابة الأوّليّة. وفي المرحلة التالية (المراجعة والتنقيح) تبدأ معالم الكتاب النهائية بالتشكّل، وسيبدأ مستوى الرضا عن كتابك يرتفع لديك. وانتبِه خلال هذه المرحلة، فقد يكون اطّلاع غيرك على الكتاب وهو بهذه الحالة مصدرًا لتعليقات وملاحظات مُحبِطة، بسبب أنّ من يطّلع عليها يظنّ أنّ هذا هو الكتاب في صورته الأخيرة أو مراحله النهائيّة.

كان (أنتوني بيرجيس) في الأربعين عندما علم أنه مصاب بسرطان المخ، وأخبره الأطباء أنّ وفاته ستكون خلال سنة. وقد قلق كثيرًا لأنّ ليس لديه أيّ شيء يتركه لزوجته، وأدرك أنّ لديه تحدّيًا يجب أن يواجهه. ولم يكن بيرجيس قد احترف كتابة القصة من قبل، لكنّه كان يشعر أنّ لديه القدرة على الكتابة، فما كان منه إلا أن وضع الأوراق في الآلة الكاتبة في الحال، وبدأ يكتب، وفي ذهنه هدف واحد: أن يترك لزوجته ثمن ما يكتب، ولم يكن متأكدًا أنّ ما سيكتبه سيُنْشَر. لكنّه لم يستطع عمل شيء آخر. يقول: «كنتُ في عام 1960 وكان أمامي شتاء وربيع وصيف ثم أموت مع سقوط أوراق الخريف.» وخلال هذه المدة كتب بيرجيس بحماسة حتى أنهى خمس روايات ونصف رواية قبل مرور العام. ولكنَّ الغريب أنّ بيرجيس لم يمُت، بل شفي تمامًا! وكتب ما يزيد على 70 كتابًا[44].

(44) مائة طريقة لتحفيز نفسك. ستيف تشاندلر، ص 193.

الفصل السادس

مراجعة الكتابة (التّنقيح)

الفصل السادس: مراجعة الكتابة [التّنقيح]

«لستُ كاتبًا كبيرًا، لكنّني مُنقّح كبير».

كلُّ التماثيل التي نحتها الفنّانون، كان أصلُها حجرًا قُطع من جبل. لو رأيتَ الحجر لاستبعدتَ أن يتحوّل إلى تمثال. عمليّة كتابة المسوَّدة الأوّليّة تُماثل عمليّة قطْع الحجر، بينما عمليّة المراجعة والتنقيح هي عمليّة النحت، التي تُظهر صورة التمثال، وتفاصيله.

ولذلك يشير كثير من المؤلِّفين إلى أنّ الكتابة الحقيقيّة ليست المسوَّدة الأوّليّة، بل هي تنقيح الكتابة أو مراجعتها أو إعادة الكتابة. فالنسخة الأوّليّة هي تسجيل للأفكار الأساسيّة، وتحويلها من حيّز الفكر لتكون واقعًا عبارة عن كلمات على ورق (أو على شاشة الكمبيوتر).

تقول سوزان وليامز: «الكتابة مثل [المسرحية]، ما يراه المشاهدون هو المنتَج الأخير، ولا يروْن التعثّرات والأخطاء والساعات التي تمضي في التدريب. كما الحال في الكتب.»[45]

يقول الثعالبي صاحب فقه اللغة، عن مراجعته لكتابه (يتيمة الدهر): «وحين أعَرْتهُ على الأيام بصري، وأعدْتُ فيه نظري، تبيَّن لي مِصداق ما قرأتُه في بعض الكتب أنّ أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنّه لا يكتب كتابًا فيبيت عنده ليلةً إلا أحبَّ في غدٍ أن يزيد فيه أو يُنقص منه. هذا في ليلةٍ واحدة، فكيف في سنين عدّة؟!»[46]

الكتابة هي إعادة كتابة

هذه قاعدة ذهبية في التأليف، ومَن لم يعرفْها فلن يؤلِّف. عندما تكتبُ ثم تقرأُ

(45) ABC of Writing, p. 112 .

(46) كنوز الأجداد، ص 221.

ما كتبت تصاب أحيانًا بخيبة أمل. أهذه الفكرة التي كنتُ أنتشي بتجوالها في ذهني، وأتشوّق للكتابة عنها؟! فجوات في العرض وعدم وضوح وزوائد قد تكون غير ضروريّة في بعض المواضع! اطمئنَّ..! هذا الموقف يمرُّ به غالبية المؤلِّفين بعد كتابتهم للمسوَّدة الأولى.

يؤكِّد كثير من الكتّاب على أنّ الكتابة إنما هي عمليّة إعادة كتابة أو تنقيح. وأنّ ما يكتبه المؤلِّف في المرّة الأولى ليس هو إلا البداية. أرأيت النحّات عندما يضع بين يديه الصخرة؟ لو رأيتَه في جولته الأولى معها، لاستبعدتَ إمكان أن يصوغ منها عملاً فنّيًّا. فهو لا يبدأ بجزء من العمل فينجزه مرّة واحدة ثم ينتقل إلى الجزء الآخر. بل يقوم بدورة كاملة على الحجر بحيث يضع المعالم الرئيسة للعمل، وربما المعالم الرئيسة لبعض أجزاء العمل، لكنه بعد ذلك يعود إليه مرّات ومرّات حتى تتبيّن أدقّ التفاصيل فيه شيئًا فشيئًا. وكذلك الكتابة.

تقول كيرين كوشمان[47] : النسخة الأوّليّة لا يجب أن تكون جيّدة. من المتوقَّع أن تكون سيّئة. إنها فقط لأجل أن تعرف عَمَّ يتكلم الكتاب، وما رأيك فيه، وفقط ما تريد أن تقول.

من خلال خبرتي ومن خلال ما قرأته عن عدد من المؤلِّفين الكبار، فالنّسخة الأوّليّة غير مرتَّبة وغير مكتملة وغير مترابطة، وهي محبِطة ومثبِّطة لعزيمة الكاتب غير المتمرّس الذي يتوقّع أن يُنتج من أوّل مرّة. لكن بمجرّد أن يبدأ المؤلِّف في استخدام أساليب التنقيح تبدأ معالم الكتاب تبرز بالتدريج، وتتشكّل.

قال أديب العربية الرافعي عن أحد كتبه المطبوعة: « ... وقد بدأتُ أمرّ على الكتاب وأصلحُ منه قليلاً، ممّا يستبين به بعض معانيه، مع إضافة قليل من شرح المفردات ليكون في الطبعة الثانية شيئًا جديدًا. غير أنّي رأيتُ أنّ الكتاب يحتاج إلى زيادة بسْط، وربما احتاج إلى زيادة بسْط في بعض جهاته، فادَّخَرْت ذلك كلَّه للطبعة الثالثة إن شاء الله متى هدأ الزمن قليلاً.»[48]

(47) ABC of Writing, p. 100 .

(48) من رسائل الرافعي، ص 82.

ويذكر الرافعي في (وحي القلم) عن الكاتب الفرنسي المشهور أناتول فرانس أنه كان يكتب الجملة ثم ينقّحها ثم يهذّبها ثم يُعيدها ثم يرجع فيها، وهكذا خمس مرّات إلى ثمانٍ يقدّم ويؤخّر من موضعٍ إلى موضع.

وتقول بات شندر: المراجعةُ هي، على الأقلّ، نصفُ الكتابة[49]. ويقول الأصفهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا إلا قال في غدِه لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحسَن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر.»

أساليب التنقيح [إعادة الكتابة]

للتنقيح مهارات يجب على المؤلِّف تعلُّمها حتى تسهل عليه عملية التأليف. وفيما يلي بعض الأساليب التي يستخدمها المؤلِّفون في مراجعة كتبهم أو تنقيحها أو إعادة كتابتها:

ابتعد عن النص

ألم يحدث لك أن راجعتَ مقالاً أو تقريرًا وفاتتْك أخطاء واضحة، اكتشفَها بسهولة زميلٌ لك؟ أجزِمُ أنّ هذا حدث لك مرّات! السبب أنك عندما قرأت ما كتبْتَ كنتَ في تركيبةٍ عقليّة جعلتْكَ تقرأ ما في عقلك، وليس ما على الورق، فأنت ترى ما تقرأ ولا تقرأ ما ترى. ولذا لا بدّ من الابتعاد عن النصّ الذي تكتبه حتى تراجعَه بذهنيّة جديدة. الابتعاد عن النص يعني أن تتركه لمدّة من الزمن وتنشغلَ بشيء آخر، لفكّ الارتباط الذهني والنفسي مع المكتوب. يوصي (ستيفن كنج) الروائي

(49) Writing Alone, p. 11

المشهور بأن تكون المدّة ستة أسابيع، وينصح بأن يقاوم الكاتب الرغبة في العودة للنص قبل ذلك. مع ملاحظة أنه يتحدث عن الرواية، ومن خبرتي الشخصيّة بالكتابة غير القصصيّة، كلّما زادت المدّة كان أفضل.

بالإضافة إلى أنّ الابتعاد عن المكتوب يفيد في الخروج من التركيبة العقليّة التي تكوّنت أثناء الاستغراق في كتابة الكتاب، والتي قد تكون مقيِّدة ومسيطِرة على تفكير الكاتب كلّما تعامل مع الكتاب، فإنّ ذلك يفيد أيضًا في إزالة الملل وتجديد النشاط للكتابة.

فأنتَ في كثير من الأحيان تصابُ بالملل من قراءة ما كتبتَه، إلا أنّك عندما تبتعد عنه لمدّة، وتعود لقراءته تشعر في بعض الأحيان أنك تقرأ هذا الكلام لأوّل مرّة، وربما يعجبك المكتوب كثيرًا بحيث تستغرب كيف خرج هذا منك! ويُذكر عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله أنه كان يملي على طلاّبه فإذا قرأوا عليه فيما بعد ما أملاه عليهم استفسر منهم هل حقًّا هو قال هذا؟

وقد حدث ذلك للرافعي عندما قرأ كتابه (المساكين) فقال[50] : «... لقد قرأتُ (المساكين) منذ أيام وكنت أحسب الناس يبالغون فيه فصرتُ أبالغ أكثر منهم ... ويا ضَيْعَةَ هذا الكتاب إذ يصدر في مثل هذه البلاد! »

راجع الأجزاء الأساسيّة أوّلاً

ابدأ بالأفكار الأساسيّة ثم انتقل للجزئيّات. يوصي المتمرسون بالكتابة أن تكون المراجعة الأولى للأجزاء الأساسيّة للفصل أو للكتاب، بحيث لا ينشغل المؤلِّف بدقائق المادّة المكتوبة، بل يجعل تركيزه في هذه المرحلة على الصورة العامّة وتسلسل الأفكار وترابطها واكتمال الأجزاء الرئيسة للموضوع. وبعد ذلك ينتقل المؤلِّف إلى مراجعة أكثر دقة وتركيزًا، بحيث يبدأ في تتبّع الأفكار الجزئيّة وترابط الجمل أو الفقِرات. قد يكون من المفيد رسْم شكل (مخطط تدفّقي flow chart) يوضح سيْر الجزء أو الفصل وتسلسل الأفكار فيه.

(50) من رسائل الرافعي، ص 98.

لتتأكد من تناسق النص وترتيبه قم بعمليّة عَنْصرة (وضع رؤوس أقلام) عند المراجعة. فعند القراءة ضع عنوانًا للفكرة التي تحتوي عليها كلُّ فقرة تمرّ بها في هامش الصفحة. بعد إكمال الفصل قم بالمرور على هذه العناوين (الأفكار) وانظر: هل هي متسلسلة ومترابطة؟ هل هناك ما يحتاج لتقديم أو تأخير؟ هل هناك انقطاع بين فكرة وأخرى؟ برنامج تنسيق الكتابة (وورد) يساعد في هذا من خلال خاصّيّة (خريطة المستند) في خيار (عرض).

لربط الجمل أو الفقرات غير المترابطة استخدِم عبارات الوصل، فهي تساعد على الترتيب المنطقي للكتابة، وتسهّل انتقال القارئ من فكرة لأخرى.

قد تجد أفكارًا متسلسلة، لكنّ بينها انقطاعًا شكليًّا، بحيث تحتاج إلى كلمات أو جمل للربط بينها. أحيانًا مثلاً، تحتاج إلى فقرة قصيرة للربط.

الحذف

أثناء التنقيح والمراجعة لا بدّ من حذف ما يعزّ على النفس حذْفه. فكثيرًا ما يجد المؤلّف معلومات جيّدة حصل عليها بعد جهد في البحث، لكنها خارج مسار الفصل أو الكتاب. وقد تبدو نشازًا، أو خارج نطاق البحث، فلا بدّ من حذفها. فلا يجب أن تبقى كلُّ معلومة قيّمة في الكتاب إذا لم تكن ضمن سياقه الطبيعي. ومن خلال خبرة شخصيّة كثيرًا ما يكون في الحذف (الذي يأتي بعد تلكُّؤ) انطلاقة في الكتابة، وسلاسة في الجزء الذي تكتب فيه، وستلاحظ تحسُّنًا ملموسًا في ترابط الفقرات. وستحسّ براحة نفسيّة مع استقامة النص تُنسيك ألم الحذف ! ولذلك وضع الروائي المشهور ستيفن كنج قاعدة طريفة تقول[51]:

المسوَّدة الثانية = المسوَّدة الأولى - 10٪

ويمكن تعديل هذه القاعدة لتكون:

المسوَّدة الثانية = المسوَّدة الأولى - 10٪ + 5 ٪

(51) King on Writing, p.266 .

الإضافة

كثيرًا ما يشعر المؤلّف عند مراجعته بالحاجة إلى التوسّع في بعض المواضع لبيان الفكرة أو لإيراد معلومات تفيد القارئ. ومن الأمور التي تساعد على التوسع المفيد وعلى توضيح الأفكار طرح الأسئلة التالية:

ماذا؟ متى؟ من؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟ تأكّد أنّ هذه الأسئلة لا تثور في ذهن القارئ في موضعٍ ما من كتابك إلا و يجد لها إجابة واضحة.

التّفاصيل

من الأمور التي سيكتشفها المؤلِّف أثناء المراجعة الحاجة للتفاصيل. فالفكرة إذا طُرحت بشكلٍ مختصرٍ ومجرّدٍ تبقى مبهمة في أذهان كثير من القرّاء. ويزول هذا الإبهام عند إيراد التفاصيل. ويجب أن لا ينخدع الكاتب بوضوح الفكرة في ذهنه. فهذا الوضوح نتيجةٌ لكوْن التفاصيل موجودة لدى الكاتب، فهو يتصوّرها ويحسّها عندما يقرأ، لكنّ الكاتب الجيّد هو من يقدّم هذه التفاصيل التي تتشكّل في ذهنه للقارئ من خلال الكلمات. ويشير كثير من الكتّاب إلى أنّ هذا هو سرّ الكتابة الجيِّدة التي تشدّ القارئ وتجعله يتفاعل مع النص.

ومن التفاصيل التي تجذب القارئ وتشدّه تلك المتعلّقة بالحواس. فمن المفيد أن لا يقتصر المؤلِّف على التوضيح مستخدِمًا معلومات بصريّة فقط، بل يستخدم البصريّ والحسّيّ وما يتعلّق بالطعم والشم وغير ذلك ممّا يُشرك حواسّ القارئ كلَّها.

لا تُخبر بل صِفْ

يؤكّد كثير من خبراء التأليف على أنّ الكتابة غير القصصيّة يجب أن تستفيد من أسلوب الكتابة القصصيّة، لتكون مشوِّقة للقارئ. فبدل أن تروي ما حدث بشكل مجرّد، قم بوصف ما حدث بشكل مفصَّل، لتجعل القارئ يعيش الحدث. فبدلاً من أن تقول (... نزل المطر...)، صفِ الحالَ عند نزول المطر، كيف شعرْتَ به أو رأيتَه أو سمعتَه، (أو من تتحدث عنه) وكيف كانَ أثرُه في من حولك. وعندما لا تملك معلومة

عن شعوره، لا بأس أن تذكر ذلك على سبيل التخمين أو التساؤل، مثل: (وأظنّه كان يسمع زخّات المطر كما لو كانت....) أو (يا تُرى ما هي الصور التي تثور في ذهنه وهو يرى انهمار المطر بهذا الشكل الكثيف؟ أتُراه يخيّل إليه ...؟) وكلّما توسّع الكاتب في استثارة ذهن القارئ بهذه الصورَ كان أكثر جذبًا له لمواصلة القراءة. فكأنّه يُدخل القارئ معه في مَوْقِع الحدث. لو تأمّلتَ القرآن لوجدتَ فيه الكثير من هذا الأسلوب، فهو لا يخبر عن يوم القيامة، بل يصفه وكأنّك تراه رأيَ العين أو تعيشه بجميع حواسّك. فلو قرأتَ بتدبّر آياتٍ عن أحداث يوم القيامة لشعرتَ كأنك واقف معهم.

أَشرِكْ حواسَّ القارئ كلَّها قدْرَ الإمكان

يستقبل الإنسان المعلومات والصور عن طريق مداخل متعددة وبأساليب مختلفة، فهو يرى ويسمع ويحسّ ويتذوّق، ومن هذا كلّه يشعر (يتكوَّن لديه شعور). وكلّما استطاع الكاتب استخدام أكبر قدْرٍ ممكن من هذه الحواسّ كان الوصول إلى عقله وقلبه أسهل. إذا تحدثتَ عن مكان فَصِفْه مستخدمًا الألوان والأشكال والحركات، ورائحته والأصوات التي تُسْمَع فيه، وأوضاع الناس فيه، خصوصًا ما له علاقة بالفكرة التي تتحدّث عنها.

وكلّما ابتعدتْ التفاصيل عن التراكيب المألوفة كانت أكثر شدًّا لانتباه القارئ وأكثر إثارة لمخيّلته. فمثلاً عبارة (تلبّدت السماء بالغيوم) عبارة مستهلَكة، لم تعد تثير الصور الخياليّة التي كانت تصاحبها أوّل ما استُخْدِمَت. فابحث عن صورة جديدة تصف بها وجود الغيوم في السماء، كأن تربطها بنوع من القماش، أو بمنظر البحر أو بأنوارٍ مضاءة أو نحوِ ذلك من الصور الجديدة المعبّرة.

استخدِمِ الحوار

الحوار يُحيي المواقف، ويجعل القارئ حاضرًا، كأنّه يسمع ويشاهد. فاستخدامه في الكتابة يشدّ القارئ، ويشجّعه على مواصلة القراءة. ويجعل الكتابة أكثر واقعية. وميزةُ الحوار أنّ الكاتب الجيّد يستطيع من خلاله إيصال بعض الرسائل المضمَّنة في جمل المتحدِّثين.

احكِ قصّة

من التفاصيل أيضًا سرد القصص والحكايات التي توضح الفكرة. والقصص محبَّبة للنفس وفيها جانب عاطفيّ يساعد على الإقناع بالفكرة. فقد تجد مَن لا يحبُّ سماع الكلام الإنشائي، أو لا يحبّ الكلام المنطقي العقلي، أو لا يحبّ الكلام العاطفي، لكن قلّ أن تجد مَن لا ينجذب إذا سمع قصة! فكلّما استطعتَ أن تُدخل قصةً في ما تكتبه، بشكل مناسب، فثِق أنّ ذلك سيشدّ القارئ. لكن قد يحدّد مدى مناسبة القصّة نوعيّة الكتاب. فقد لا تكون مناسِبةً في الكتب الأكاديميّة، إلا إذا كانت في مقدِّمة الفصل على شكل دراسةِ حالةٍ أو سيناريو، ليكون مدخلاً لموضوع الفصل. لكنّها مناسِبة جدًّا في الكتب التجاريّة العامّة. تقول المحرِّرة والمؤلِّفة المشهورة رابنر: «لا أعرف طريقة لِشَدِّ القارئ أفضل من قَصِّ القصص.»(52)

ويقول ابن قتيبة في أدب الكاتب: «ولا بدّ له - أي الكاتب - من دراسة أخبار الناس وتحفُّظ عيون الحديث، ليُدخلها في تضاعيف سطوره، متمثّلاً إذا كتب، ويصل بها كلامه إذا حاور.»

اضرِب الأمثلة

المثال، إذا اختير بعناية، يوضح الكلام ويقلّل من احتمال سوء الفهم، أو إرباك القارئ، وبخاصة في الموضوعات المجرَّدة. خذ ضرْبَ الرسول صلّى الله عليه وسلّم مثلاً لأهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع بموقف أصحاب السفينة نحو مَن يخرِقُها مِن ركّابها، ففي منْعِه نجاةٌ للجميع، وفي تركِه هلاكٌ للجميع.

وفي المثال فائدة أخرى سوى التوضيح، وهو أنه يكسر رتابة الكلام النظري المجرّد، ويجعل القارئ أقرب للنصّ، خاصة إذا كان المثال معروفًا ومعتادًا عنده. قال الماوردي(53) في الأمثال:

---

(52) Thinking like your Editor. p.179

(53) في أدب الدنيا والدين، ص 275.

«وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثيرٌ في القلوب لا يكاد الكلام المرسَل يبلغ مَبلَغَها ولا يؤثِّر تأثيرَها، لأنّ المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة، والنّفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة. فلذلك ضرَب اللهُ الأمثال في كتابه العزيز وجعلَها من دلائل رُسُله وأوضحَ بها الحجّة على خَلْقه، لأنّها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة. ولها أربعة شروط:

أحدها: صحّة التّشبيه.

والثاني: أن يكون العلم بها سابقًا والكلّ عليها موافقًا.

والثالث: أن يُسرع وصولها للفهم، ويعجل تصوُّرها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها ولا كَدٍّ في استنباطها.

الرابع: أن تناسب حال (القارئ) لتكون أبلغ تاثيرًا وأحسن موقعًا.

فإذا اجتَمعَتْ (هذه الشروط) في الأمثال كانت زينة للكلام وجلاء للمعاني.»

كُن دقيقًا

من التفاصيل التّخصيص. يعاني كثير من الكتب العربية بشكل عامّ من العموميّة في الأفكار والإنشائيّة في التناول. بينما الدقّة سرّ جودة الكتابة وأسرِ ذهن القارئ. يقول خبير التأليف سول ستاين: «تتميّز الكتب الأكثر مبيعًا وذات الجودة بأنّ مؤلّفيها يستخدمون قدْرَ الإمكان ذكرَ الأمور الدقيقة (particularization)... فالتدقيق يُشرِك القارئَ ... وهو روح الكتابة الجيِّدة.»[54]

بدلاً من أن تقول (سيّارة)، حدِّد نوعها، ولونَها. بدلَ أن تقول (بيت) حدِّد نوعَ بنائه أو طرازه، وربما اسم الحيّ الذي هو فيه، فهذه التفصيلات تُحيي النص وتجعله أكثر حضورًا في مخيّلة القارئ. ومَن يطّلع على الكتب العربيّة والأجنبيّة يجدْ فرقًا جليًّا في هذا الجانب بينهما.

فنقْصُ التفاصيل والتحديد وعدمُ ذكْرِ الدقائق المناسِبة التي يقتضيها المقام، ولا تُعَدّ حشوًا، يوجِد نوعًا من الإحساس بالفراغ وعدم الوضوح لدى القارئ، ويؤدي إلى أن تكون القراءة مملّة له.

(54) Stine On Writing p.260

اطلب مساعدة مُراجع خارجيّ

من أساليب المراجعة والتنقيح أن يقوم بذلك مُراجع خارجيّ. وهذا قد يكون في بعض الأحيان وفي الكتب الطويلة ضروريًّا. وهو من الأمور البدهيّة لدى المؤلِّفين الغربيّين. ويتمّ بإحدى طريقتين:

الاستعانة بمحرِّر محترف

تبقى المراجعة ناقصة إذا لم يقمْ بها مُراجعٌ أو محرّر غيرُ المؤلِّف. فعادةً، مهما توخّى المؤلِّف الدقَّةَ ستفوتُه أشياء ويزيغ بصرُه وذهنُه عنها. لأن ذهنه تعوّدها. بينما المحرّر الخارجيّ يراها بشكل مختلف، فهو يقرأ بذهن غير ذهن المؤلِّف، وترى عيونه أشياء لم يقع عليها بصرُه من قبل.

العرض على صديق

استفدْ من الأصدقاء في مراجعة ما تكتبه، فعادةً لكلِّ مؤلَّف (قارئ أوّل) يُطلب رأيه فيما يكتب. يقول جعفر بن يحيى: «اتخذْ كاتبًا متصفِّحًا للكتاب، فإنّ المؤلِّف للكتاب تنازَعُه أمورٌ وتعْتَوِرُه صُروفٌ تَشْغَل قَلبَه، والمتصفِّح للكتاب أبْصَرُ بمواقعِ الخلل (فيه) من مبتدئ تأليفه.»[55]

المراجعة لا نهاية لها

إن الكاتب، وبخاصة من هو مولَع بالبحث، لا ينتهي من مراجعة كتابه والزيادة فيه. لكن لا بدّ أن يصل إلى نقطة يقرّر فيها التّوقف، بعد أن يكون غلب على ظنّه أنه وصل إلى مرحلة مقبولة من الكمال. كان الشيخ طاهر الجزائري سريعًا في التأليف، وربما ألّف الكتاب في بضعة أسابيع، كما حكى عنه محمد كرد علي في (كنوز الأجداد)[56]، وكان يقول: «الإتقان لا حدَّ له، والأغلاط تُصحَّح مع الزمن.»

(55) عن قراءة القراءة، ص 177.

(56) ص 15.

وعلى المؤلِّف أن يكون على حذر من إلف الكتاب الذي يحدث له من كثرة تكراره لمراجعة كتابه، بحيث يشعر أنّ ليس فيه جديد، أو أنه لا يستحقّ النشر، فيبخسه حقَّه ويقدُره دون قدرِه. والسبب في ذلك كثرةُ مراجعته له. بينما لو قرأه غيرُه، أو لو ابتعد هو عنه مدّةً لوجده مشوّقًا.

وكثير من المؤلِّفين لا يعجبه ما يكتب، ولعلّ ما سبق هو السبب. يقول الرافعي: «ويؤلمني ... اتهامي لنفسي، فإني لا أرضى عن شيء ممّا أكتبه، وإلى الآن لا اشعر أني عملت شيئًا يسمّى. وكان الدكتور يعقوب صرّوف يقول لي: (هذه هي النار المقدَّسة التي تظلّ تدفع صاحبَها، ولكنّ لذعات هذه النار أخفّ من الغرور...).» وكذلك قال الشيخ علي الطنطاوي وهو مَن هو في الفصاحة والبيان والإبداع والجرأة أيضًا! فقد قال[57] : «إني (والله) أسيء الظن (يعني بما يكتبه) ولا أرضى عن شيء كتبتُه قط.»

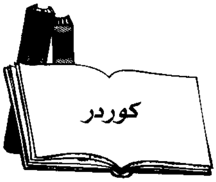

إذا لم تقرّر أن تتوقف وتنهي الكتاب فقد تستمرّ في تعديل المسوّدة إلى الأبد.

لا أقرأ كتبي (بعد طباعتها)، لأني سألاحظ النواقص، وليس بوسعي إكمالها. ولن أستطيع أن أفعل كما يفعل الرسام بونار الذي كان يذهب للمتاحف ليصلح بعض لوحاته.

وخلال المراجعة تذكَّر الأساليب الأدبيّة (فنّيّات الكتابة والبلاغة) فهي التي تبثّ الحياة في الكلمات والجُمل، وكثيرًا ما لا يكون الفارق بين كاتب مشهور وآخر غير مشهور في الأفكار، بل في أسلوب الكتابة. فاحرص أن يكون أسلوبك رشيقًا، ولا تستخدمْ إلا ما تدعو له الحاجة من الكلمات، وابتعدِ ما أمكن عن المترادفات التي ليس لها فائدة في بيان المعنى، أو الصفات والتعابير المستهلَكة التي مجَّتها أسماع كثير من الناس، بحيث صارت لا تؤدّي غرضًا بيانيًّا.

(57) فكر ومباحث، ص 161.

فصول الكتاب

الكتاب عادة ما يتكوّن من وحدات تساعد على تقسيمه بطريقة تُسَهّل فهمه. وقد تسمَّى هذه الوحدات أبوابًا أو فصولاً أو أقسامًا. وليس هناك طريقة واحدة معتمَدَة، لكنْ درج أكثر الكتّاب على الأبواب والفصول. وقد تسمّى أبوابًا وفصولاً وقد لا تسمّى، ويُكتفى باسم الفصل.

في هذا الفصل نتحدّث عن بعض عناصر الكتاب المهمّة، التي تساعد على إظهاره بشكل منظّم وتوضح فكرته للقارئ.

عنوان الكتاب

لو سئلت ما هو أشهر كتاب عربي، لقلت إنه القاموس للفيروزابادي. فقد بلغ من شهرته أن سمّي كل معجم قاموسًا، مع أن القاموس اسم لهذا الكتاب وحده.

عنوان الكتاب هو أوّل ما يواجه القارئ (أو المشتري المحتمَل). فيجب أن يكون جذّابًا. واختيار العنوان عمليّة معقّدة، تحتاج إلى تأنٍّ وتفكير ومعرفة بالجوانب النفسيّة التي تربط الناس بموضوع الكتاب.

بشكل عامّ:

- **اجعل العنوان مختصرًا**
- **ابتعِد عن الألفاظ الاصطلاحيّة أو الغامضة**
- **ابتعد عن السّجع غير المناسب**
- **من الممكن أن تجعل العنوانَ مقطعَيْن أو مستويَيْن (ما بعد الحداثة: دراسة في المشروع الثقافي الغربي)**

ويقول المنفلوطي منبِّهًا على العلاقة بين العنوان والكتاب: «لقد جهل الذين قالوا إن الكتاب يُعرف بعنوانه.. فإني لم أرَ بين كتب التاريخ أكذب من كتاب (بدائع الزهور)، ولا أعذب من عنوانه، ولا بين كتب الأدب أسخف من كتاب (جواهر الأدب) ولم أرَ من اسمه ... أعذب اسمًا...»[58]

وقد مكث الرافعي مدَّةً يفكّر في عنوان لكتابه (وحي القلم) وطرح ثلاثة أسماء وهي (الأدبيّات) و(الورقات)، و(قول معروف) قبل أن يستقرّ على الاسم الأخير.

ويفضّل بعض خبراء النشر أن لا ينبئ العنوان في الكتب العامة عن الموضوع بشكل مباشر، بل يشير إلى المشكلة التي يريد أن يصوّرها الكتاب. فمثلاً وضع (المخدِّرات) عنوانًا لكتاب في موضوع المخدِّرات واستخدامها في الحرب بين الدول المتعادية، قد يكون أفضل منه عنوان (إبادة العقول).

المقدِّمة، أهدافها وماذا تحتوي؟

مقدِّمة الكتاب مهمّة للتواصل مع القارئ. وكثير من القرّاء المحترفين يحكم على الكتاب – بعد عنوانه – من خلال نظرة سريعة على المقدِّمة. فالمقدِّمة هي خير مكان يلقي فيه المؤلِّفُ الطُّعم للقارئ! (وأرجو أن يكون ذلك نصحًا للقارئ!) وكثير من المؤلِّفين يُضيع هذه الفرصة ويجعل المقدِّمة مملّة أو غير منبئة عن فحوى الكتاب وما أودعه فيه، بحيث ينصرف القارئ عن الكتاب بسببها.

ثلاثة أسئلة يجب أن تجيب عنها المقدِّمة

يشير خبراء التأليف إلى أنّ مقدِّمة الكتاب يجب أن تجيب عن ثلاثة أسئلة رئيسة[59]:

(58) المنفلوطي، النظرات، 2/74.

(59) Thinking Like your Editor, p. 197

السؤال الأوّل: عمّ يتحدّث الكتاب؟

فلا بدّ أن يجد القارئ، وبسرعة، في المقدِّمة بيانًا لموضوع الكتاب، بشكل مختصَر، لكن واضح. إذا كانت المقدِّمة غامضة أو مُربكة ولم يستطع القارئ الوصول من خلالها لموضوع الكتاب فسوف يعمّم الحكم على الكتاب، وفي الغالب لن يشتريه.

فاستخدِم المقدِّمة لعرْض السؤال الأساسي للكتاب - إن وجد - وكيف ستجيب عنه، دون الدخول في تفاصيل الإجابة، فهذا دور بقية الفصول.

السؤال الثاني: ما الذي دعاك لكتابته؟

يرغب القارئ في أن يعرف لماذا أنت من يكتب هذا الكتاب؟ هل لأنك خبير في المجال؟ هل حدث شيء وجيه كان سببًا لتأليفك لهذا الكتاب؟ هل هذا التأليف نتيجة لبحث مكثّف، أو تدريس في المجال؟ الإجابة عن هذه الأسئلة قد تقنع القارئ بأنك مؤهَّل للكتابة في موضوع الكتاب، وربما خير من يكتب فيه. وستكون النتيجة شراء الكتاب. وفي هذه الحالة سيكون المؤلِّف هو العامل المؤثِّر في جعل القارئ يشتري الكتاب ويُقبل على قراءته. وكثير من القرّاء يشتري الكتاب من أجل مؤلِّفه وليس بسبب شيء شدَّه في الكتاب.

السؤال الثالث، وهو أهمّها:
كيف سيوسِّع هذا الكتاب معرفة القارئ بالموضوع؟

يرغب القارئ في معرفة ماذا سيستفيد مقابل دفع ثمن الكتاب وقضاء بعض الوقت في قراءته. ما هي الأشياء التي ستقدّمها له؟ كلّما كانت النتيجة المؤمَّلة واضحة، زاد ذلك من احتمال شراء الكتاب. لذا يجب أن تشتمل المقدِّمة على وعود تُقدَّم للقارئ بمجرّد انتهائه من قراءة الكتاب، خصوصًا إذا كان الكتاب من نوع تطوير الذات وبناء المهارات.

من المفيد أيضًا أن تشتمل المقدِّمةُ على الطريقة التي يقترحها المؤلِّف أو

يوصي بها لقراءة الكتاب. فبعض الكتب يَلزم أن تُقرأ الفصول بشكل متسلسل، وبعضها يمكن البدء بأي فصل، أو بفصول يحتاجها بعض القرّاء أكثر. من الجيِّد أن يشير المؤلِّف في المقدِّمة إلى مثل هذه الأشياء، فهي تساعد القارئ على حسن الاستفادة من الكتاب.

كذلك من المفيد أحيانًا أن يحدّد المؤلِّف بشكل واضح مَن هم الذين يتوقع أن يقرأوا الكتاب. فيقول، مثلاً: «هذا الكتاب موجَّه للمعلِّمين ومديري المدارس.» وهذا إذا كان فعلاً المستهدَفون محدَّدين. أما إن كان الكتاب عامًّا، فتركُ الإشارة لذلك أوْلى، ويقوم القارئ بنفسه بتحديد مدى دخوله ضمن المستهدَفين.

ويمكن أن يقوم المؤلِّف بكتابة المقدِّمة في بداية عمله في الكتاب، لكنّه في هذه الحال لا بدّ أن يعود إليها عند انتهائه منه ليراجعها، ويعدِّلها بناءً على ما استجدّ من أفكار أثناء كتابة الكتاب. والطريقة الأخرى أن يرجئ كتابة المقدِّمة لحين الانتهاء من الكتاب. وهذا يفعله كثير من الكتّاب، فتكون المقدِّمة آخر ما يكتب، وقد كان الأديب مصطفى الرافعي يفعل ذلك.

التّقديم

التّقديم غير المقدِّمة، وربما سمِّي التّقريظ. فالمقدِّمة يكتبها المؤلِّف نفسُه، لكن التقديم يكتبه عادةً شخصٌ له مكانة علميّة في موضوع الكتاب. فهو يعطي الكتاب مزيدًا من المصداقيّة (وربما الدعاية أيضًا!). إذا لم يحقّق صاحب التقديم أحد هذين الهدفين فليس من المناسب وجود تقديم. والمبالغة في ذلك دون مسوّغ، غير جيّدة.

تنظيم الفصل

من المفيد والمُريح بالنسبة للقارئ أن يبدأ الفصل بملخّص يوضح الخطوطَ العريضة للفصل. فهذا يساعد على تهيئة القارئ للمعلومات التي ستأتيه. كما قد يكون من المفيد وبخاصة في الكتب الأكاديميّة أن يُختم الفصل بملخّص يختصر موضوعات الفصل الأساسيّة في نقاط قليلة.

إذا كان الفصل طويلاً فلا بدّ من تقسيمه لأقسام، وتحت كلّ قسم موضوعات. برنامج الكتابة الحاسوبي (وورد) يساعد على هذه التقسيمات، ويساعد أيضًا على عمل جدول المحتويات بشكل آليّ بناء على هذه التقسيمات.

جدول المحتويات

جدول المحتويات عبارة عن عناوين الفصول والموضوعات الأساسيّة في كل فصل. وهو يفيد القارئ بإعطائه فكرة عامّة عن موضوعات الكتاب، بالإضافة إلى أنه يسهّل له الوصول إليها. وكثير من القرّاء يعتمد في شرائه للكتاب على جدول المحتويات. فوجود جدول محتويات متقَن ينبئ عمّا في الكتاب هو من عوامل التسويق للكتاب. ويعمد بعض الناشرين، خصوصًا في الكتب الضخمة، إلى وضع نوعين من جداول المحتويات، جدول مختصر، يشتمل عادة على عناوين الفصول، وجدول مفصّل يشمل عناوين الفصول ومحتوياتها الأساسيّة. وقد درجت الكتب العربية على جعل جدول المحتويات في آخر الكتاب، بينما الكتب الأجنبية تجعله في أوّله. وقد يكون وضعُه في آخر الكتاب أسهل في الوصول إليه، حيث إنّه في أوّل الكتاب يكون بين صلب الكتاب والمقدّمة والإهداء (إن وُجد)، بينما إذا كان في آخر الكتاب يكون في آخر الصفحات.

كشّاف الكتاب

كشّاف الكتاب عبارة عن فهرس موضوعيّ لأعلام الكتاب وكلماته الأساسيّة. وهو من الأشياء الأساسيّة في الكتب الأكاديميّة والعلميّة. لكنّه لا يستخدم في الكتب العربيّة إلا نادرًا، رغم فائدته الكبيرة للقارئ. وعادةً ما يقوم بذلك الناشر، بحيث يستأجر مفهرسِين مختصّين. وموضعه يكون في آخر الكتاب.

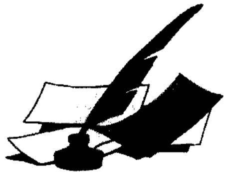

الفصل السابع

لِتَسلك طريقك للنشر

الفصل السابع: لتسلك طريقك للنشر

النشر عمليّة تختلف عن الكتابة والتأليف. فقد يكون لديك مهارة الكتابة والصبر على التأليف لكنك لا تنشر، أو لا تنشر كثيراً. والسبب في ذلك أنّ النشر له طريقته الخاصة التي يجب أن يسلكها المؤلِّف. فلا يكفي أن يُنهي المؤلف كتابه، بل لا بدّ أن يُكمل مرحلة النشر حتى يصبح الكتاب بين يديّ القارئ، ويصير الكاتب «مؤلِّفًا».

في بعض الدول المتقدِّمة في مجال النشر، يعمد المؤلِّفون إلى ما يسمّى بوكيل النشر، بحيث يكون وسيطًا بين المؤلِّف وبين الناشر، ويتولى مفاوضته في حقوق المؤلِّف وما يتعلق بها من جوانب قانونيّة، في مقابل نسبةٍ من مبيعات الكتاب. لكنّ هذه الطريقة قد لا تكون معروفة في عالمنا العربي خصوصاً مع المؤلِّفين المبتدئين أو غير المشهورين. فلذلك غالبًا ما سيكون على المؤلِّف أن يتولّى تقديم كتابه للناشر بنفسه.

من ميزات الكتابة غير القصصيّة أنك تستطيع أن تبيع ما (سوف) تكتب قبل أن تكتبه. فكثيرٌ من الكتّاب، وبخاصة المشهورون منهم، يبيع ناشري الكتاب بعقد موثّق بناءً على مُقترَحٍ أو خطة الكتاب التي يقدّمها لهم، أو أحيانًا فكرة الكتاب، ثم يبدأ في كتابته لهم. وهذا متعذّر في التأليف القصصي.

مقترَح الكتاب

مقترَح الكتاب عرْض مكتوب يُعرّف بفكرة الكتاب وبأسلوبه وبموضوعاته، ويعرّف بالمؤلِّف، وهو يقدَّم للناشر. ويستخدم هذا الأسلوب في ما سوى الكتب القصصيّة، إذ إنه يمكن وصف الكتاب بشكل مفصَّل بما يمكّن الناشر من الحكم على الجدوى الاقتصادية له ومدى مناسبته للقرّاء، بعكس الأعمال القصصيّة، فلا يمكن الحكم عليها إلا بعد اكتمالها.

لماذا المقترَح؟

الهدف من (مقترَح الكتاب) أن يضمن المؤلِّف أنّ كتابه سوف يجد من ينشره قبل أن يُجهد نفسه ويُضيّع وقته في كتابته. كما يهدف أيضًا إلى معرفة مدى وجود سوق للكتاب عند خروجه. فالناشر هو خير من يقدّر هذا.

وهذا بالطبع إذا كان غرض المؤلِّف هو النشر. أمّا إذا كان المؤلِّف يؤلّف لسبب يراه وجيهًا حتى لو لم يَنشر، فيمكنه أن ينهيَ الكتابَ ثم يبحث له عن ناشر، أو ينشره على الإنترنت، أو يطبعه ويوزّعه على عدد محدود.

محتويات المقترَح

بشكل عامّ يوصي كثير من خبراء التأليف والنشر أن يحتوي المقترَح على العناصر التالية:

- **خطاب المقترَح (الموجَّه للناشر المفترَض)**
- **صفحة العنوان**
- **نظرة عامّة (ملخّص الفكرة)**
- **مقارنة الكتاب بما هو موجود**
- **وصف المستهدَفين (جمهور الكتاب)**
- **سوق الكتاب وكيف سيسوَّق**
- **مدة الإنجاز**
- **تقدير حجم الكتاب (عدد الصفحات)**
- **محتويات الكتاب غير النّصيّة (الجداول والأشكال والصور)**
- **نبذة عن المؤلّف، مع التركيز على ما له علاقة بموضوع الكتاب**
- **جدول محتويات مبدئي**
- **وصف مبدئي لكلّ فصل**
- **عيّنة لفصل من الكتاب**

ويجب أن يقدَّم المقترَح على شكل وثيقة مطبوعة ومرتّبة وأنيقة تُعطي انطباعًا بأنّ المؤلّف مهني professional محترِف، ويحترم عملَه.

مقترَح الكتاب قد لا يكون أمرًا مألوفًا للمؤلّفين والناشرين في العالم العربي، لكنه كذلك في دور النشر الغربيّة. فقد لا تقبله دُور النشر العربيّة خاصة إذا كان من مؤلّف غير مشهور. فمن المتوقَّع أن تطالبك دار النشر برؤية الكتاب كاملاً أو على الأقلّ المسوَّدة الأوّليّة منه.

وطّن نفسك على الرّفض

كلُّ الكتب التي تتحدّث عن الكتابة والتأليف تؤكّد على أن رفض النشر أمر مألوف لكلّ المؤلّفين المشهورين في بداية حياتهم. ورفض النشر سواء لمقال أو كتاب لا يعني بالضرورة أنّ المادّة غير جيّدة، وإن كان هذا قد يكون صحيحًا، لكن قد تعني في كثير من الأحيان أنّ المادّة، أو الكتاب، لا تتوافق مع سياسة المطبوعة أو الصحيفة، أو لم ترُق للناشر، أو لا يراها مُربحة بالنسبة إليه. فيجب أن لا يأخذ المؤلّف رفض النشر مؤشرًا قاطعًا على عدم جودة ما يكتبه.

فالروائيّة الفرنسية ناتالي ساروت لم تستطع نشر كتابها (انحرافات) إلا بعد سبع سنوات من الانتظار. وقد رفضت دار جاليمار المشهورة نشر روايتها (صورة المجهول) على الرغم من المقدِّمة التي كتبها الفيلسوف المشهور سارتر لها[60].

وتقول الكاتبة آني سيبا: «مَن أخبرك أنه لم يتلقَّ رفضًا فهو يكذب. الكتابة عمل ذاتي. إذا لم تتلقّ على الأقل رفضًا واحدًا خلال أسبوع فأنت لا تعمل بجدّ. انظر إلى مراجعات الكتب، الكتب التي تُقبل وتُنشر لمؤلّفين معروفين كيف تُنتقد. فلو كان الناقد هو مَن تولّى الحكم على قَبول الكتاب قبل نشْره لكان من المحتمَل ألا يُنشَر[61].»

(60) عشرون روائيًا يروون تجربتهم، ص 362.

(61) Is There a Book in you, p.150 .

نال الروائي أرسكين كالدويل جائزة (بيل ريفيو) للقصة، على إحدى قصصه التي رُفضت مرارًا من الناشرين، بحيث ظلّت تعاد لمدّة سنة، وأرسلها لحوالي عشرة ناشرين. والطريف أنّ آخر الردود من إحدى المجلات قبل أن تحصل القصة على الجائزة كان: «هذا الهراء المتذمّر لن يجد طريقه للنّشر أبدًا!»[62]

على أنّ الرفض لا يخلو من الجوانب الإيجابيّة، فبالإضافة إلى أنه يدعوك بشكل عامّ لتجويد كتابك، فربما دلّك سبب الرفض على جوانب قصور في كتابك لم تتنبّه لها. فعلى المؤلِّف أن يستفيد من نقد الناشر لكتابه حالَ رفضه. فالناشر يعرف السوق (أو هكذا يُفترض!) ويعرف ما يريده القرّاء، فرأيه مهمّ ومفيد للمؤلِّف. لكن لا تيأسْ فقد يرفض العملَ ناشر ويقبله آخر.

يقول فيرلاكي: «إذا أردت فعلاً أن تكتب فلا تستسلم، فليس من السهل أن يُنشر لك، لكنّ الأمر يستحقّ العناء. وتعجبني المقولة ليس الفرق بين من يُنْشر له ومن لا يُنْشَر له هو بالضرورة جودة العمل، إنما مَن يُنْشَر له يثابر ولا ينسحب.»[63]

إذا قبِل الناشر منك الكتاب فهو يتولّى كلّ ما يتعلّق بالنشر عادة في مقابل ثلاثة أرباع سعر الغلاف تقريبًا (وقد يختلف ذلك من بلد لآخر).

وإذا رفض الناشر نشر كتابك، و كنت مقتنعًا به، وأقرّك على هذه القناعة مختصّون في موضوع الكتاب فلعل من المجدي لك أن تسلك طريق النشر الذاتي بحيث تتولى أنت طباعة كتابك ونشره. ويمكنك بعد طباعته أن تسوِّقه بطريقتين، إمّا أن تعطيَه لأحد الموزّعين (وهذا هو الأفضل)، أو توزِّعه بنفسك. لكن حالَ تولّيك توزيع الكتاب ستواجهك مشكلة تخزينه ونقله.

الأسئلة الخمسة التي يريد الناشر الإجابة عنها:

يذكر كتاب Thinking Like your Editor خمسة أسئلة يبحث الناشر عادةً عن الإجابة عنها عندما ينظر في نشر كتاب ما:

(62) اسمها تجربة، ص 142.

(63) فيرلاكي، ص 302، Writing for Children

- عمّ يتحدث الكتاب؟
- ما هي فكرة (thesis) الكتاب؟
- لماذا أنت من يكتب الكتاب؟
- لماذا هذا هو وقت الكتاب؟
- من هم جمهور الكتاب ولماذا يرغبون فيه؟

فمن الضروري أن تجيب عن هذه الأسئلة في مقترَح الكتاب الذي تقدّمه للناشر أو في أثناء حديثك معه. وكلّما كانت إجابتك عن هذه الأسئلة مقنعة للناشر كان احتمال قبوله لنشر الكتاب أكبر. فعلى المؤلّف أن يُعِدّ الإجابة عن هذه الأسئلة ، ومن المفيد أن يضمِّنها عرضَه للناشر، ويضمِّنها أيضًا مقدِّمةَ الكتاب.

أنواع الكتب التي يرفضها الناشرون:

الكتب التي يرفضها الناشرون كثيرة، وتختلف أسباب الرفض من ناشر لآخر. لكنّ هناك أسبابًا عامّة تدعو الناشرين عادةً لعدم قبول الكتاب(64). (مع ملاحظة أنه ليس دائمًا يكون حكمهم هو الصواب!). من هذه الأسباب ما يلي:

عدم وجود جمهور له

فالناشر في النهاية تاجر، ومعنى ذلك أنّ القرّاء المتوقَّع شراؤهم للكتاب معيار أساسي في قَبول الكتاب أو رفضه. كلما زادت شريحة القرّاء زاد إقبال الناشر على الكتاب. بالطبع هناك معايير أخرى، قد تجعل الكتاب مربحًا للناشر ولو قلّ عدد القرّاء، كندرة الكتابة في موضوع الكتاب، لكن لا تعتمد على ذلك إلا بتنسيق مسبق مع الناشر. ففي هذه الحالة قدّم مقترَحًا للكتاب قبل البدء فيه، بحيث لا تبدأ إلا بعقد مع الناشر.

(64) Thinking Like your Editor .

مفرط في النظرية

يعلم الناشرون أن الكتب التي يغلب عليها الطابع النظري لا يُقبِل عليها القرّاء، بل عادةً ما يرونها مملّة أو أكاديميّة. فالقرّاء يبحثون عن الكتب العمليّة أو التي تخلط النظريّة بالتطبيق. والتي تكون مطعَّمة بالخبرة الشخصيّة. ولذلك لا يحرص الناشرون على الكتاب النظري البحت. إلا أنّ هناك استثناء في هذا الجانب، وهو ما إذا شاع الحديث عن أمر جديد، وتناولتْه وسائل الإعلام، مثل (الركود الاقتصادي)، فقد يُقبل القرّاء على كتب نظريّة في هذا الموضوع بشرط أن تكون كُتبت بأسلوب سهل يناسب القارئ غير المتخصّص.

خارج تخصّص المؤلِّف

يحرص الناشرون على الكتاب الذي يؤلِّفه شخص متخصّص في موضوع الكتاب، وذلك لِما يعطيه اسمُه من مصداقيّة للكتاب عند القارئ، ولضمان خُلوِّه من الأخطاء أيضًا. فلا أحد، مثلاً، سيقبل على كتاب في التدريس يؤلِّفه متخصّص في الفلك، أو كتاب في الفلك يؤلِّفه طبيب. فحاولْ أن تكونَ كتابتُك فيما أنت متخصّص فيه، أو بيّن للناشر أنّ لديك من الخبرات والتأهيل ما يجعلك مخوَّلاً للكتابة في الموضوع الذي تؤلِّف فيه، وكن مستعدًا لإقناع القارئ بقدرتك على ذلك. ومن الطرائف في هذا المجال أن أبا الفرج ابن هندو صنَّف كتابًا في إبطال علم الطب، وحثّ طلاّبه على دراسته. فأصيبَ بالصداع يومًا، فأرسلوا للطبيب فقال لهم الطبيب: قولوا له يضع كتابه تحت وسادته ويضع رأسه عليه! وما عالجه الأطباء إلا بعدما اعترف ببطلان كلامه ومزّق كتابه[65].

أكاديميّ مفرِط في طرح الموضوع والمعالجة

يعرف الناشر أنّ الطرح الأكاديمي أسلوبًا ومحتوًى قد لا يستسيغه إلا أكاديميّ

(65) محمد كرد علي، كنوز الأجداد، ص 202.

متمرِّس، أو طالب مضطرّ لشرائه (وقد يستغني عن ذلك باستعارته من المكتبة!) فالقارئ العاديّ يريد كتابًا كُتِب بأسلوب سهل. حتى لو كان الموضوع علميًّا مثل (الاستنساخ) أو (الاحتباس الحراري)، يجب أن تكون اللغة سهلة ويجب أن يكون الطرح والمناقشة بأسلوب يخلو من مصطلحات الأكاديميّين وأساليبهم حتى يتقبّله القارئ العادي. ولذلك يعمد الناشر عادةً لرفع سعر الكتاب الأكاديمي لتغطية قلّة الإقبال عليه.

لا توجد فيه فكرة جديدة

الكتاب الذي لا فكرة فيه، أو فكرته تقليديّة وغير جديدة أيضًا لا يرغب فيه الناشرون، فليس لدى القارئ ما يدفعه لشرائه، والمنافسة معه، من الكتب الأخرى، كبيرة. ولا يتوقّع أن يكون له صدًى في ميدان الكتاب، ولذلك لا يرغب فيه الناشرون. مثال ذلك كتاب عن (الإرهاب: جذوره وثماره). ليس فيه فكرة جديدة، وكتب فيه - من هذه الزاوية - الكثير، لكن لو كانت فكرة الكتاب (ماذا يريد الإرهابيون وكيف نفهمهم؟)، فهي تعطي بُعدًا آخر للموضوع، وتثير أسئلة ما كانت لتثور في فكرة الكتاب الأوّل وعنوانه.

هذه خمسة أمور (خصائص) تجعل الناشرين لا يقبلون نشر الكتاب، وعلى المؤلِّف أن يراعيها عند تقديم عمله للناشر. على أنّ رأيَ الناشر ليس دائمًا صوابًا، فقد يكون اجتهاده في غير محلّه، لكن لديه حساباته التي يجب أن يعتمد عليها في آخر الأمر. فمثلاً دار النشر المشهورة Sage والمتخصّصة تقريبًا في نشر الكتب الأكاديميّة التي تتعلق بمنهجيّة البحث العلمي، حذفت جزءًا كبيرًا ومهمًّا من فصل من كتاب مبادئ البحث النوعي Basics of Qualitative Research لكاتبين مشهورين في مجال البحث النوعي، بحجّة أنها نظرية وصعبة، ثم أعادت طباعة ذلك القسم في الطبعة التالية (بعد عشر سنوات)، مع إشارة المؤلِّفين إلى أنّ حذْفَه من الطبعة السابقة كان رأيًا خاطئًا من دار النشر!

فالناشر يفكِّر غالبًا بعقليّة التاجر، وليس بعقليّة المؤلِّف أو العالِم أو المتحمِّس لفكرة ما (وإن كان فيهم من هو كذلك). ومن المهمّ والمفيد أن تستمع لنقد

الناشرين، وليس من الضروريّ أن تستجيب لهم في كلّ ما يقولون، لكن قد تستفيد من رأيهم، لجعل كتابك مقبولاً لدى القرّاء. فهم غالبًا أصحاب خبرة في مجال النشر، حتى لو بدا لك رأيهم في أوّل الأمر غير وجيه.

ماذا تفعل إذا رُفض كتابك؟

إذا واجهك رفض من دار نشر، فهذا أمر طبيعي، بل ربما مرّ به كلُّ الكتّاب. فكلّ ما عليك هو أن تستفيد من نقدهم، وإن لم يكن هناك نقد، فاحرص على أن تسألهم عن أسباب الرفض مُبديًا لهم رغبتك في الاستفادة من رأيهم لتطوير العمل. ثم قم بمراجعة العمل بناءً على ملاحظاتهم، فإن وافقوا عليه بعد ذلك وإلا أرسِلْه لناشر آخر. رَفْضُ ناشرٍ أو ناشرَيْن لا يعني نهاية المطاف، فكثير من الكتب لا يُقبل من أوّل ناشر تُعْرَض عليه هذه الكتب.

أنت والنقّاد

عمل الناقد في الدرجة الأولى أن يبحث عن العيوب، وإن كان - كما يُفترَض - لا يقتصر عليها. وعادةً لا يخلو عمل بشريّ، مهما أُتقن، من عيوب. وكثير من النقد انطباعي، وربّما شخصي. وبعض النقّاد يكتب ليراه القرّاء لا ليعرِض الكتاب! وبعضهم يتعامل مع الكاتب لا مع المكتوب! وهؤلاء ربما يكونون هم من قصدهم الكاتب كالدويل - بقسوة وطرافة ! - عندما قال إنهم ينضوون تحت فئة العاشق العنِّين أو المؤلِّف الفاشل.

فقد ألَّف الكاتب الصحفي المصري أحمد رجب قصة قصيرة، وقدَّمها للنقّاد على أنها من تأليف كاتب سويسري مشهور. وقام صحفي بسؤال النقّاد عن القصة فأثنوا عليها وأشادوا بها. ثم أخبرهم المؤلِّف بما فعله. لكنّ بعض النقّاد أصرّ على أنها من تأليف الكاتب السويسري!

فلا تكن مفرط الحساسيّة تجاه نقد النقّاد لكتابك، سواء قبل طبعه أو بعد النشر. فكثير من الكتّاب المشهورين واجههم نقد جارح لكن مع مرور الزمن تقبّلهم

القرّاء، وبقُوا ونُسيَ النقّاد. وقد رأينا صُورًا وتماثيل لكثير من المؤلّفين، وأُلّفت فيهم كتب ، لكن قلّ أن تجد صورة أو تمثالاً أو كتابًا عن ناقد!

فكما يقول أحد خبراء التأليف والنشر: «إذا أردتَ أن تكون كاتبًا فيجب أن تكون مستعدًّا لاستقبال سهام النقد وتتقبّل سؤال (من أنت؟!).»(66)

وإذا لم يتحصّن الكاتب ضد الآثار السلبيّة للنقد، بعد أن يستفيد منه، فقد يكون الأثر سيئًا. يحكي الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن العلاّمة سليم البخاري أنه مات وليس له أيّ كتاب أو رسالة على جلالة قدره وعلمه وشدّة بيانه!. والسبب أنه ألّف في بداية حياته رسالة صغيرة في المنطق (ومن يؤلّف في المنطق؟!) كتبها بلغة سهلة تنفي عن هذا العِلم - كما يقول الشيخ الطنطاوي - تعقيد العبارة وصعوبة الفهم. وعرض الرسالة على شيخه، فسخر منه الشيخ وأنّبه، وقال له: أيُّها المغرور! أبلَغَ قدرُك أن تصنّف وأنت كذا وكذا... (من العبارات التي لا تخلو منها جعبة منتقد، ولا تُكلّف شيئا!) وأخذ الرسالةَ وأحرقها في نار المدفأة. لكن مع انطفاء ما أشعلَتْه من نار انطفأ نارُ طموح الطالب، وانطفأ إنتاجه، فكانت تلك أول مؤلّفاته .. وآخرها!

ولذلك يقدّم الشيخ الطنطاوي - في موضع آخر من كتابه فكر ومباحث(67) - نصيحة للمؤلّفين، فيقول:

«إن كثيرًا من الكتّاب يميلون إلى معرفة آراء الناس بكتاباتهم، ويهتمّون بهذه الآراء جدًّا، حتى إنها لتشجّعهم إذا كانت حسنة، وتذهب عزائمهم إذا كانت (تلك الآراء) سيّئة. وهؤلاء يخسرون كثيرًا من مواهبهم، وينحطّون عن المنزلة التي وضعهم الله فيها يوم جعلهم كتّابًا ... فلا تعتادوا هذه العادة، ولا تُبالوا بأذواق الناس إذا خالفَتْ أذواقكم، ولكن استمعوا إلى نقدهم، إذا كان يستند إلى أساس علميّ صحيح، أما إذا استند على الذوق وحده فلا...»

(66) Thinking Like your Editor, p. 146

(67) ص 146.

سبع طرائق للتّرويج لكتابك

من المهمّ في عالَم التأليف التّرويج للكتاب. فنادرًا ما يكتب شخص كتابًا ولا يريده أن ينتشر. وأنا هنا أعني الأساليب التي يمكن أن يقوم بها المؤلِّف بنفسه غير الأساليب الدعائيّة الإعلانيّة المعروفة التي يقوم بها الناشرون عادة. وكثيرًا ما يكون سبب اشتهار كتاب جودة الترويج له، وليس جودته في ذاته. وفيما يلي بعض الأساليب التي يمكن أن يقوم بها المؤلِّف:

قدِّم شيئًا قيّمًا

أفضل دعاية للكتاب هي أن تقدِّم شيئًا ذا قيمة وينبئ عن مصداقيّة المؤلِّف. يقول ستيف تشاندلر[68] : إن جهود التّرويج للكتاب يجب أن توجَّه للكتاب نفسِه، والتسويق يجب أن يتركّز في المنتج نفسه لا في السوق. فأفضل الكتب وأكثرها مبيعًا هي التي تروّج لنفسِها... (ويضيف) إن الناس يؤلِّفون كتبهم سريعًا دون الانتباه إليها انتباهًا كاملاً ثم ينفقون ساعات طويلات في محاولة للترويج لكتبهم وبيعها سريعًا.

سألني عميل: كيف أروّج لكتابي؟ فأجبت: أعِدْ كتابتَه.

استفِد من التّقديم

اطلب من شخص ذي قيمة علميّة في موضوع الكتاب أن يقدّم للكتاب. فكثير من الناس سيهتمّ بالكتاب فقط بسبب هذا التقديم. أو هذا التّقديم سيوحي إليه بقيمة الكتاب.

اجعل الغلاف معبِّرًا وجاذبًا

كثيرًا ما يكون تصميم غلاف الكتاب أسلوبًا جيّدًا للدعاية له وجذب الانتباه

(68) في كتابه (قصة حياتك)، ص 156.

إليه. وبعض الأغلفة يصدّ عن الإقبال على الكتاب. ليس هناك قاعدة ثابتة، لكن انتبهْ لذوْق المستهدَفين بالكتاب ونفسيّاتهم. فالنساء مثلاً تجذبهن ألوان خاصّة، وللمتخصّصين بالتقنية ومحبّيها صور وأشكال لا يستطيعون مقاومة التوقف عندها. وابتعِد عن المباشرة في التعبير عن موضوع الكتاب، أو المبالغة في ذلك. مصمّمو الإعلانات التجارية والفنّانون لهم لمسات مفيدة في هذا الجانب فاستفدْ منهم.

استخدِم الإنترنت

من الجيّد أن يكون للمؤلِّف موقع شخصيّ على الإنترنت. ويمكن أن تعلن عن كتابك في مواقع أخرى، خاصّة المواقع التي تهتمّ بالكتب، أو بموضوع كتابك. المدوَّنات الشخصيّة (Blogs) قد تكون موقعًا مناسبًا. ومن الطريف أنّ الكاتب الروائي الشهير ستيفن كنج، كان يضع رواياته على الإنترنت، ويطلب ممن يقوم بإنزالها أن يدفع له مبلغًا بسيطًا مقابل كل فصل. لكنّه توقّف بعد ذلك عن هذه الطريقة.

أهدِ نُسَخًا لِبَعض الكتّاب أو المهتمّين

فالكتّاب الصحفيّون يحتاجون أحيانًا لأفكار يكتبون عنها في أعمدتهم. فأنت تخدمهم في هذا وهم يخدمونك بالتعريف بكتابك. وكذلك المهتمّون بموضوع كتابك، ربما يعجبهم فيقومون بالتّعريف به في إحدى الصحف، أو بالتّوصية بشرائه لمعارفهم والقريبين منهم.

استفِد من الإذاعة والتلفزيون

حاوِل عرْضَ كتابك في البرامج الإذاعيّة أو التلفزيونيّة التي تهتمّ بعرض الكتب، وذلك بأن تنسّق لإجراء مقابلة معك، أو ترسل للمُعِدّ نسخةً من الكتاب مرفقًا بها عرْض مختصَر له. فمُعِدّ البرنامج أو مُقدِّمه لن يقرأ كتابك على الأرجح، لكن وجود عرض مكتوب سيشجّعه على الحديث عنه.

استفِد من المقدِّمة أو من الغلاف الأخير

إذا استطعت أن تنال موافقة شخص مشهور أو خبير في المجال الذي تكتب فيه، فهذا سيكون دعمًا قويًّا لكتابك. وهناك طريقة شائعة في الكتب الغربيّة، وهي اقتباس كلمات مختصَرة لأناس مشهورين في تقريظ الكتاب أو الثّناء على الكاتب، ووضعها في غلاف الكتاب الخلفي. هذا سيدفع من يطّلع عليها لاقتناء الكتاب.

الخاتمة

ماذا بعد..؟

إذا خرج كتابُك وتداولَتْه الأيدي وسرَت أفكارُه إلى العقول، فقد أصبحْتَ مؤلِّفًا وربما مفكِّرًا، وأسهمْتَ بشيء ولو كان قليلاً جدًّا، في المعرفة البشريّة. وستشعر بنوع من الغبطة غريب عندما ترى اسمك مكتوبًا على غلاف الكتاب. ومن هذه اللحظة يجب أن تفكّر في أمرين:

الأول: فكرة لكتاب آخر تُواصل به عطاءك الفكريّ والمعرفيّ.

الثاني: البدء بالإعداد للطبعة التالية (إن قُدّر لك ذلك)، وذلك من خلال تتبّع النقد الذي يوجَّه لكتابك لتستفيد منه في إصلاح بعض الأخطاء، أو عمل مزيد من البحث في موضوع الكتاب وإضافة ما يستجدّ.

صدور كتابك إنجاز عظيم، وثمرة جهد شاقّ، ولذا يوصي خبراء تنمية الذات والتحفيز أن تكافئ نفسك، بحيث تقدّم لها شيئًا تحبّه، مثل نُزهة بريّة، أو سَفرة سياحيّة، أو عشاء فاخر مع من تحبّ، أو شراء مزيد من الكتب التي ترغب فيها. كذلك يوصون بأن تضع نسخةً من الكتاب في مكان بارز تراه دائمًا ليَحفزِك على العمل كلّما تثاقلْتَ عن ذلك. فلا شيء يدفع للنجاح مثل النجاح. وبعد هذا كلّه لا تنسَ أن تحمد الله على إعانته لك.

أهمّ المراجع باللغة العربيّة:

1 - اسمها تجربة. لأرسكين كالدويل. ترجمة معين الإمام. المدى. دمشق (2006م).

2 - إنهم يقتلون الأدباء. لمحسن محمد. مكتبة غريب. دون تاريخ.

3 - قيمة الزمن عند العلماء. عبد الفتاح أبو غدة. مكتبة المطبوعات الإسلامية. حلب. (1407 هـ).

4 - كنوز الأجداد. لمحمد كرد علي. دار الفكر. (1404 هـ).

5 - من رسائل الرافعي. لمحمد أبو رية. دار المعارف.

أهمّ المراجع باللغة الإنجليزية:

1 - Baverstock, A. Is There a Book in You? A & C Black, (2006).

2 - Cameron, J. The Right to Write: An Invitation and Initiation into the Writing Life. Jeremy P. Tarcher/ Putnam: New York, (1998).

3 - Clouse, B. 265 Troubleshooting Strategies for Writing Nonfiction. McGrow Hill, (2005).

4 - Corder, N. Successful Non-Fiction; A Guide to Getting Published. Crowood. (2006).

5 - Goldberg, N. Writing Down the Bone: Freeing the Writer Within. Shambhala. (2005).

6 - Gutkind, L. The Art of Creative Nonfiction: Writing and Selling the Literature of Reality. Wiley. (1997).

7 - Heffron, J. The Writer's Idea Book. How to Develop Great Ideas for Fiction, Nonfiction, Poetry and Screenplay. Writer's Digest Book, (2000).

8 - Heffron, J. The Writer's Idea Workshop. How to Make Your Good Great. Writer's Digest Book. (2003).

9 - Jackman, I. The Writer's Mentor: Secrets of Success from the World's Great Writers. Random House, (2004).
10 - King, S. On Writing: A Memoir on the Craft. New English Library, (2001).
11 - Koehler-Pentacoff, E. The ABCs of Writing for Children. Quill Driver Books, (2003).
12 - Rabiner, S and Fortunato, A. Thinking Like Your Editor: How to Write Great Serious Non-fiction and Get it Published. New York: W. W. Norton and Company, (2002).
13 - Ramet, A. Creative Writing: How to Unlock Your Imagination, Develop Your Writing Skills? and Get it Published. How-to Books, (2007).
14 - Rico, G. Writing the Natural Way. Tarcher Putnam, (2000).
15 - Schneider, P. Writing Alone and with Others. Oxford, (2003).
16 - Stine, J. Writing Successful Self-help & How-to Books. Wiley, (1997).

جدول المحتويات

المقدمة 9

الفصل الأول:

تريد أن تصبح مؤلِّفًا؟! 13
اجعل كتابتك عبادة 15
معوقات الكتابة 16
التسويف 16
ليس لدي وقت 18
الناقد الداخلي 21
الخوف 21
سبع خرافات عن الكتابة 22
الأولى: الكتّاب يولدون ولا يصنعون 22
الثانية: الكاتب الجيد يكتب بسرعة 23
الثالثة: يجب أن ينتظر الكاتب الإلهام ليكتب 23
الرابعة: يكتب الكاتب الجيد بشكل جيد من أول مرة 24
الخامسة: المراجعة هي قراءة مسوَّدة العمل وتصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية.. 24
السادسة: هناك فقط طريقة واحدة للكتابة 24
السابعة: الكتابة مهنة المفلسين 25
صفات الكتّاب الناجحين 26
الصفة الأولى: الصبر 26
الصفة الثانية: تقييد الأفكار وتسجيل الفوائد 28
الصفة الثالثة: كثرة القراءة 29
الصفة الرابعة: كثرة الكتابة 30
الصفة الخامسة: تعلّم مهارات التأليف 31
شكليات (بروتوكولات) الكتابة 31

الفصل الثاني:

أنواع التأليف 33

الكتابة القصصية 35

الفرق بين القصة وغير القصة 35

الكتب غير القصصية 36

1. السيرة 36

2. الكتب التجارية (العامة) 36

3. الكتب الأكاديمية 37

4. كتب تنمية الذات أو بناء المهارات 38

5. كتب المقالات 38

أنواع الكتابة 38

الكتابة الوصفية 39

الكتابة التوضيحية 39

كتابة المقارنة 39

كتابة الإقناع 39

الفصل الثالث:

الأفكار 41

الكتابة تبدأ بفكرة 43

كيف تجد الفكرة؟ 45

الكتابة 49

الشجاعة في طرح الأفكار 50

كيف تطور الفكرة ؟ 50

كيف تختبر الفكرة؟ 51

علامات عدم مناسبة الفكرة 53

أنك لا تستطيع أن تكتب عنها 53

أن يكون لها بدايات كثيرة 53

ألاّ تستجيب لأي صيغة 54

أن مراجعة المسوَّدات لا تفيد 54
أن يذهب الحماس تجاه الفكرة 54
كيف تتعامل مع الفكرة العصية؟ 54
هل تتحدث عن كتبك للآخرين؟ 56

الفصل الرابع:

البحث 59
مراحل البحث 61
المرحلة الأولى: 61
المرحلة الثانية: 62
تنظيم المعلومات أثناء البحث 63
هل تستخدم كل المعلومات؟ 65
متى تعرف أنك انتهيت من البحث؟ 66

الفصل الخامس:

كتابة المسوَّدة الأولى 69
مخطط الكتاب 72
صعوبة البداية 74
المسوَّدة الأولية 74
اكتب ولا تراجِع 75
اكتب ولا تنقد 75
حبسة الكاتب 76
أسباب حبسة الكاتب 77
الحكم على المسوَّدة الأولى 77
عدم معرفة مراحل الكتابة، بحيث يستعجل الكاتب الانتهاء من الكتابة 78
متلازمة العشب أكثر اخضرارًا 78
نقص القراءة بشكل عام 78
نقص البحث في الموضوع أو عدم التعمق فيه 79

التقليدية في التفكير 79
المثالية 79
طبيعة الإنسان 80
خمس عشرة طريقة للتغلب على حبسة الكاتب 80

الفصل السادس:

مراجعة الكتابة (التنقيح) 87
الكتابة هي إعادة كتابة 89
أساليب التنقيح (إعادة الكتابة) 91
ابتعد عن النص 91
راجع الأجزاء الأساسية أولاً 92
الحذف 93
الإضافة 94
التفاصيل 94
لا تخبر بل صِف 94
أشرك حواس القارئ كلّها قدر الإمكان 95
استخدم الحوار 95
احك قصّة 96
اضرب الأمثلة 96
كن دقيقًا 97
اطلب مساعدة مراجع خارجي 98
الاستعانة بمحرر محترف 98
العرض على صديق 98
المراجعة لا نهاية لها 98
فصول الكتاب 100
عنوان الكتاب 100
المقدمة، أهدافها وماذا تحتوي؟ 101
ثلاثة أسئلة يجب أن تجيب عنها المقدمة 101

السؤال الأول: عم يتحدث الكتاب؟ 102
السؤال الثاني: ما الذي دعاك لكتابته؟ 102
السؤال الثالث، وهو أهمها: كيف سيوسع هذا الكتاب
معرفة القارئ بالموضوع؟ 102
التقديم 103
تنظيم الفصل 103
جدول المحتويات 104
كشاف الكتاب 104

الفصل السابع:

لتسلك طريقك للنشر 105
مقترح الكتاب 107
لماذا المقترح؟ 108
محتويات المقترح 108
وطِّن نفسك على الرفض 109
الأسئلة الخمسة التي يريد الناشر الإجابة عنها 110
أنواع الكتب التي يرفضها الناشرون 111
عدم وجود جمهور له 111
مفرط في النظرية 111
خارج تخصّص المؤلِّف 112
أكاديمي مفرط في طرح الموضوع والمعالجة 112
لا توجد فيه فكرة جديدة 113
ماذا تفعل إذا رفض كتابك؟ 114
أنت والنقّاد 114
سبع طرائق للترويج لكتابك 116
الخاتمة 119
المراجع 121